كبير

الحبيب العائد

www.elromancia.com

مرمورية

12

روايات الرومانسية

عبـــر

AL AMEEN ROMANCE ABER No. 12

www.elromancia.com

الحبيب العـــائد

نشأت علاقة حب بين الطبيبة البيطرية « ليزا ستون » ، وبين الرسّام المغمور « مايكل روبرت » .. ولكنه رحل وتركها دون أن يعرف أن علاقتهما تلك قد أثمرت طفلاً يدعى « دافيد » .

وبعد تسع سنوات عاد « مايكل » مرة أخرى ، وقد ازداد ثراءً ونفوذاً ، فصمم على ضم هذا الابن إليه ، والزواج من « ليزا » !

فهل ستتنازل له عن ابنها .. أم ستبادله حرباً بحرب ؟ .

وهل ستقبل الزواج منه ، أم سترفض بسبب « سلينا » زوجته السابقة و « مارى » ابنته ؟!

دار الأمين طباعة .. نشر .. توزيع DAR AL AMEEN

٨ شارع أبو المعالي (خلف المعهد البريطاني) العجوزة ☎ ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم

روايات الإيمان الرومانسية

12

عبير

الحبيب العائد

بات جيل

مجدى سيد عبد العزيز

www.elfanancia.com

الفصل الأول

– تم البيع للسيدة التى فى الصف الأمامى .

وحملقت « ليزا » إلى المشترية الجالسة بحوارها. ثم رمقت الفازة التى أبعدوها عن ناظريها وتنهدت ..إن الفازة التحفة قد كان من الممكن أن تكون هدية رائعة لزواج والدتها و « جيمس ». ولكن ألف وسبعمائة دولار مبلغ خيالى جداً .

– والآن .. سيداتى وسادتى : التحفة ألف وثمانمائة طقم إعداد الشاى ، مثال جيد لفضيات القرن التاسع عشر .

واعتدلت « ليزا » فى مقعدها وزمجرت : إنها لا تحب الفضيات . بلاشك إنها تحفة نادرة ، ولكنها لا تتناسب مع ذوقها .

وبدأت المزايدة . ومن جديد دون أن تشترك فيها ، فى الحقيقة إن المزاد كله كان مخيباً لآمالها ، وعندما سمعت « ليزا» أن جزيرة النهر « ستراث هافن » قد تم بيعها وأن هناك بعض التحف التى تحتويها سيتم بيعها فى المزاد . تخيلت « ليزا» أنه بمقدورها شراء هدية صغيرة .

ولكن الجمهور ازدحم آتيًا من بقاع عديدة . مثل «سيدنى » و « بريزبان » حتى إن « ليزا» قد لاحظت طائرة هليكوبتر تهبط على الجزيرة عندما وصلت للمزاد .

والأسعار كانت مرتفعة جداً ،وكانت « ليزا » مدركة أنه يمكنها زيارة هذا المكان دون أن تستعيد ذكريات الماضى المؤلمة . لقد تحاشت طوال تسعة أعوام طويلة مجرد النظر إلى « ستراث هافن » على الرغم من أنها فى الجهة المقابلة للجزيرة من مزرعة « بالمر » .

وتعترف لنفسها بأنها قادت سيارتها إلى شاطئ النهر وعبرت كوبرى المشاة على قدميها عارجة إلى الجزيرة .. أشاحت بوجهها حتى لا تنظر إلى ذلك المبنى الصغير القابع هناك .

واستمرت المزايدة ، ووصلت سريعاً إلى التحفة العشرين والتحف التى يمكنها المزايدة عليها ، لا تعجبها ، والتحف التى تعجبها لا يمكنها المزايدة عليها .

ونظرت إلى ساعة يدها ، كانت تقريباً الرابعة والثلث سوف تنتهى فوراً مباراة الكروكيه لمساء السبت التى يلعب فيها ابنها « دافيد » ، ولو لم تعد « ليزا » للمنزل فى الخامسة فسوف يحمل «دافيد» جدته على الذهاب لإحضارها من المزايدة . وتعلم « ليزا » أن والدتها ستكون متعبة جداً بعد مساء حافل فى المباراة ، وتشعر « ليزا » بالذنب لترك والدتها ترعى « دافيد » ، رغم إصرار السيدة العجوز بأنها تستمتع بذلك فعلاً .

وهمّت « ليزا » بالنهوض ، ولكنها فجأة سمعت .

وأخيراً .. اللوحة الفنية .

ورفع مساعده لوحة فنية قديمة أمام وجه « ليزا » .

– نفتتح المزايدة بألف وسبعمائة ، واللوحة بدون توقيع لفنان غير معروف .. ولكنه بوضوح عمل يستحق التقدير .

والآن .. سيداتى وسادتى .. ماذا نزايد ؟

وحملقت « ليزا » وحملقت .

وكان من الصعب تصديق ذلك .

وبدأت دقات قلبها تتصاعد بعنف .

لقد تعرفت على تلك الألوان الشاحبة ، والنمط التأثيرى .

وتسمرت عيناها على المنظر .

وتقلصت معدة « ليزا » فى ألم . عندما أدركت أن هناك مكاناً واحداً فقط يمكن رسم تلك اللوحة منه .. حيث إن النهر يجرى من اليسار . والكوبرى يلوح من بعيد .. والمنزل العريق الذى تقطن فيه الآن على اليمين . لقد رأت بنفسها تلك النظرة الخاصة مئات المرات .. من نقطة بعيدة عن الجزيرة .. على ضفة النهر .. بالقرب من يمين الاستديو الصغير .

الاستديو .. عندما جاء «مايكل » ليمكث فيه ويرسم لوحته تلك فى الصيف .. عندما تسمرت ببراءة كمنظر وضعها فيه .. عندما بدأ حبهما .. وانتهى .

وسرحت بخيالها . طوال الأيام الماضية والأعوام .

كانت تتجول تبحث عن لوحة من لوحات « مايكل » .

كانت رغبة جامحة تجتاحها أن تمتلك واحدة كدليل على

وجوده .. على الرغم من أنها لم تعد ترى هذا الرجل أو أى شىء آخر ينتمى إليه .

وكانت لا تزال تبحث .. وفى أثناء دراستها التى أنهتها بحصولها على درجة العلوم فى الطب البيطرى .. ولحماقتها لم تدرك أن تلك اللوحة ما زالت هنا . على بعد ميل واحد من منزلها .

– ألفان .. المزايدة لك يا سيدى .. هل يوجد زيادة ؟

وعادت « ليزا » إلى إدراك الواقع . وأن اللوحة قد بيعت فى المزايدة .. وفغرت فاها .

– ألفان ومائة .

وتركزت عليها الأنظار . إنها لم تزايد من قبل وهرعت لتسابق فى المزايدة .. كانت تدرك أنها حمقاء .. إنه من المفروض أنها تشترى هدية .. وليس مجرد .

لا يبدو أنها تشعر بشىء ما للرجل مثلما كان من قبل .

لقد انتهى حبها له ، ومات بالفعل .. ولا تشعر بأية أحاسيس تجاهه .

وتصاعدت دقات قلبها بشدة .. إنها تريد اللوحة بجنون .. بولع .

وسمعت الرجل الذى ينافسها فى المزايدة .

– ألفان وخمسمائة .

وجزت « ليزا » على أسنانها ثم صاحت :

– ألفان وستمائة .

وران الصمت . وحبست « ليزا » أنفاسها .

وسمعت منافسها يقول :

– ألفان وسبعمائة .

وتنفست بعمق محاولة أن تهدئ من روعها .. هل يجب أن تقول ألفاً وثمانمائة ؟ أم تقول ثلاثة آلاف ؟

وأحست بصدرها يتثاقل كأنما سكين يضغط عليه بنصله .

وهتفت :

– ثلاثة آلاف .

– ثلاثة آلاف وخمسمائة .

وأحست باليأس يغمرها .. لن يمكنها الاستمرار .. إن ثلاثة آلاف هو حدها الذى لا يمكن تجاوزه .

– إنه دورك يا مدام .

وهزت رأسها بأسف .. وغضت بصرها . لم تستطع تحمل النظر إلى اللوحة .

– خمسة آلاف دولار .

وتسمرت العيون على المزايد الجديد .. بدهشة وأحست « ليزا » بالهلع . إنها تعرف هذا الصوت .. مستحيل .. مستحيل أن يكون هو .

لا يوجد أى سبب لوجوده هنا . لا سبب على الإطلاق .

ثم نظرت إليه . كان واقفاً بجوار إحدى النوافذ . رائعاً كما كان دائماً .

إنه « مايكل روبرت » .

www.elromancia.com

وكانت عيناه السوداوان تحملقان إليها .

وأشاحت ببصرها تنظر إلى الجهة الأخرى .

– بيعت اللوحة !

وانتفضت « ليزا » ، ثم عادت تجلس على مقعدها فى هدوء ، فى البداية كانت متجمدة . ثم فجأة بدأت ترتعد .

لو كان قد سألها أحدهم فى الماضى .. قبل تلك اللحظة ، ماذا أصبح شعورها لـ « مايكل روبرت » . فستقول : بالتأكيد لا شىء لا شىء .. ! قد يمكنها أن تقسم أنه لا يستطيع أن يحرك فيها قيد أنملة .

ولكنها كانت على خطأ . فهناك شىء ما مبهم وغامض .. شىء ما غير متوقع .. يصدمها .. ويحرك اللواعج بداخلها . إنه يؤلم رأسها ويدفعها للبحث عنه من جديد .

وكان يتحرك نحوها . وعيناه لا تتركانها أبداً .. ولكن عينيه كانتا حذرتين .. لا تفصحان عما بداخل نفسه الجياشة . وأحست « ليزا » بجفاف حلقها . بينما كان يتقدم إليها .. لقد كان ولا يزال وسيماً وملامح وجهه القوية .. وجسده الفارع .

ولكن هناك اختلافاً .. أيقنت ذلك فعلاً .

فهناك التجاعيد الخفيفة التى زحفت على وجهه فى خلال التسعة أعوام الماضية .

وكان لا يزال يرمقها بتفحص وتمعن .. ربما ينتظر رد فعلها

لصدمة عودته . وعندما لم تفصح عن شىء من أحاسيسها . ابتسم . وارتفع حاجباه الكثيفان .

وجزت على أسنانها بقوة .. يا له من كريه !!

وانتابها الإحساس الفظيع بالكراهية . ويبدو أنها عبرت عن ذلك بملامح وجهها .. حيث إن شبح ابتسامة حزين لاح على شفتيه ثم تغيرت تعبيراته إلى الحيرة .

وزحفت أمواج النيران داخل روح « ليزا » .. ترى من كان يعتقد أنه قد عاد إلى هنا .. أخيراً .

ولاح شبح الابتسامة على شفتيه من جديد .. وهو لا يزال يخطو نحوها .. كأنما كل شىء قد تم نسيانه وكأنما كل شىء قد تم غفرانه .

بلا شك أن عودته لها دور ما بشرائه لوحته من جديد .. لاشىء آخر يدفعه للعودة . فكرت فى ذلك بألم . وبلاشك أنه سيرحل من جديد بعد انتهاء المزاد .

وبعد لأى .

ضغطت « ليزا » شفتيها وهى تتطلع إليه .. لقد انخرط فى حديث مع مساعد القائم بالمزاد .

وهو ما زال يحملق إليها بنفاد الصبر .. ثم أحست بسهم يطعن قلبها .. « دافيد » .. آه .. يا رباه .. لقد نسيت كل شىء عنه .

واختلجت لواعجها من جديد .. بالتأكيد إن «مايكل» لم يكتشف حقيقة وجود « دافيد » فى أثناء زيارته تلك . إن الغريزة تحدثها بأن «مايكل» ليس من هذا النوع الذى يتجاهل ابناً له حتى لو كانت والدته لا تعنى له أى شىء البتة .

وأدركت ، ليزا ، أنه يجب أن تهرب من تلك الحجرة فوراً . وهمّت بالنهوض . ولكن شيئاً ما .

– ربما الحاسة السادسة الأنثوية – دفعها لاختلاس النظر إليه من جديد .

وكان ذلك خطأ . لقد كان لايزال يرمقها بتمعن .. عيناه .. يا رباه .. عيناه مثل الأبنوس الغائر داخل وجهه تخترق روحها .. تغزو الذكريات الطويلة الدفينة من أعمق أعماقها .

وحاولت أن تشيح النظر بعيداً . ولكنها لم تستطع .

لقد كانت مسمرة ومشلولة الإرادة تماماً .. وبدأت دقات قلبها تعلو وتعلو .. بينما نظراته استمرت أعمق وأعمق .

وسرحت بعقلها المخبول إلى الماضى .. بينما كانت نظراته العميقة تدفعها إلى الخلف .. إلى الخلف .

حتى ارتمت على ظهرها فوق بساط الاستديو .

وركع ، مايكل ، بجوارها .. ولملمت فجأة ثنايات ثوبها تغطى جسدها بتنهيدة حارة .

وارتجفت ، ليزا ، .. وعادت إلى الواقع .. وتصبب العرق البارد من مسام وجهها الشاحب . وأشاحت بعينيها بعيداً عن عينيه . وقفزت كالمجنونة . وهرعت .. كعصفور يطير من قفصه .. إلى .. إلى الحرية .

* * *

الفصل الثانى

ولحق بها ، مايكل ، فى الفراندة .

– ، ليزا ، .

وأطبقت يده على رسغها بقوة .. يستوقفها .. ونظرت عيناها المرتجفتان إليه .

وهمس:

– إنك لن ترحلى .

وحاولت التملص منه .. وشجعت نفسها : إنك فتاة فى الثامنة والعشرين من عمرها .. طبيبة بيطرية .. ذات حرية عميقة . واثقة بنفسها . لست تلك الفتاة المراهقة الغرة .

ولهثت بأنفاسها وحملقت إليه وحاولت التماسك .

– أهلاً يا ، مايكل ، .. لقد كان زمناً طويلاً .. إنك تبدو على ما يرام .. آسفة .. ولكننى لا يمكننى البقاء والثرثرة . لقد تأخرت .

وقال ويده مازالت متشبثة برسغها :

– إذن فأنت لم تتركى المزاد بسببى .

وكانت عيناه تتفرسانها تحاولان أن تستشفا ما يدور فى أعماقها .

ولم تضايق ، ليزا ، كثافة تعبيراته ولم تدفع بعصبيتها لتنفجر ..

من كان يعتقد نفسه أنه .. من المستحيل أنه كان يعرف أنها ستلحق بالمزاد .

وقالت بضحكة مفتعلة :

– يا للسماء .. لا .. لماذا يجب أن أفعل ذلك ؟

وقطب جبينه .. متحيراً .. وسألها :

– إذن هل يمكنك البقاء معى هنيهة ؟ لن أطيل عليك .

ونظرت إلى ساعتها . ثم قالت بنفاد صبر :

– دقيقة واحدة فقط .. لا أكثر .وسارت معه .. كان يتفرسها .. ويتفرس هندامها.. وتمنت ، ليزا ، لو أتيحت لها الفرصة كى تستبدل ملابسها قبل مجيئها إلى هنا . لقد كانت تجرى جراحة طارئة .. وبصعوبة أمكنها أن تضع القليل من الزينة قبل حضورها .

وتمنت فى تلك اللحظة أن تتماسك وتتخيل صورة واقعية للموقف .

وقال ببطء :

– أتعرفين ؟ ! .. لم تتغيرى .. مازلت جميلة مازلت بدون تصنع أو زيف .

واصطبغت وجنتاها بالاحمرار .. يا لها من حمقاء تتركه يتملقها . ترى ماذا يخبئ لها ؟! ويا لها من ساذجة لتتركه يؤثر عليها . ولكن الاثنين يمكنهما اللعب بنفس اللعبة .

وقالت بنفس نغمة صوته :

– وأنت من الصعب أن تكون أسوأ .. كذلك .

وقال بابتسامة باردة :

– أتغازلينني ؟ سأبلغ الأربعين العام القادم وأشعر بكل يوم منه .

وتراجعت ، ليزا ، مشدوهة . لم تتوقع أنه فى هذا العمر فعلاً . فمنذ تسعة أعوام كان يبدو أنه فى منتصف العشرينات من عمره . لا أكثر . ولكن هذا لن يغير أى شيء . فى الحقيقة سيجعل ذنبه أسوأ .. كان من الأجدر أن يعرف بصورة أفضل أنه لا يمكنه التلاعب بحياة فتاة .

وانتظرته ليقول شيئاً آخر .. ولكنه لم يفعل . إنه دائماً هذا الرجل ذو الكلمات القليلة .

وهمست :

– ماذا تريد إذن ؟

وأشار فى اتجاه الباب الأمامى .

– لو صحبتنى للداخل فستعرفين .

– ماذا تعنى بالداخل ؟ .. لن أعود إلى المزاد .

لقد أخبرتك . يجب أن أذهب .

وقال متجاهلاً كلماتها :

– أعلم ما أخبرتنى به .. سندخل المكتبة . إنه أول باب على اليمين .

– لن يمكننا أن نفعل ذلك .

– لم لا ؟

– لأن المالك لن يعجبه ذلك .

– لن يمانع .

وحملقت إليه :

– كيف أمكنك أن تعرف ذلك ؟ هل تعرفه ؟

– جيداً.

وحاولت « ليزا » السيطرة على نفسها وعلى انزعاجها .. لقد سمعت أن المالك الجديد لـ « ستراث هافن» رجل أعمال من «سيدنى » ينوى استخدام الجزيرة كمنطقة ريفية مثل « أركاس » . فلو كان « مايكل » صديقاً له .كما كان «جورج لوكاس » فربما يمكنه البقاء هنا فترة أطول كضيف عليه.. أوه .. ياربى .

وصاح:

– توقفى عن التقطيب يا « ليزا » .. إنه يفسد وجهك الجميل .

ونظرت إليه فى غيظ :

– سأدخل المكتبة .. ولكن أرجوك . توقف عن الملاطفات . احتفظ بذلك لضحيتك القادمة .

– إنه لن يفلح معى بعد ذلك أبداً .

ونظر إليها فى عتاب .. وجفلت .. إنها لا تستمتع بتعذيبه . وبالتأكيد هو يستحق ذلك ؟

بالتأكيد .. إنه يستحق أى شىء تلقيه فى وجهه .

وزمجر وهو يمسك بكوعها فى حزم :

– ادخلى .

وسارت على مضض .. لا مفر من ذلك .

وانتابها تفكير عميق .. ربما يكون يعمل لدى صاحب المنزل .. فعلى الرغم من كل شىء . فالفنانون لا يحصلون على ما يكفى لمعيشتهم ..

إن الذهاب معه أثبت أنه خطأ .. فقد قررت التأثير القوى الذى ما زال يملكه . ويمكنه من التأثير عليها .. وانساب الدفء من بين أصابعه وتوغل من رسغها إلى سائر أنحاء جسدها .

وارتجفت . وتخيلت .. ستدخل . وسيغلق الباب عليهما .. ثم .. ثم يحتويها بين ذراعيه .

وأدركت أن هذا كان سيكون . فهذا هو صنف الرجل الـ « مايكل روبرت » الصنف الذى يكتسح المرأة .. لو أظهرت ضعفها .

وسألته فجأة :

– لن يستغرق الأمر طويلاً .. أليس كذلك ؟

وتراجعت للخلف .. منزعجة إن كان قد أدرك تسارع دقات قلبها وإيقاظ أحاسيسها .

وقال :

– لو توقفت عن التراجع هكذا .. بعيداً عنى .

www.elromancia.com

واستلقت ، ليزا، على أقرب مقعد . قبل أن تنظر إليه تتفحصه .
وبادلها نظراتها عن قرب . وقال مازحاً :
– بعيد بدرجة كافية عنك .. هل أحتفظ بالباب مفتوحاً ؟
ولم تقل شيئاً .
وقال بحزم :
– لن أقيدك .
وتحرك ليلتقط اللوحة التى لم تلحظها عند دخولها الحجرة .
وقال :
– ولكننى أريد الاحتفاظ بتلك.
وفغرت فاها . وتملكها الارتباك والغضب وقالت :
– ولكن لماذا ؟ إننى .. لا شكراً .. لا أريدها .. لن آخذها .
وكانت تعبيراته جامدة .
– لماذا ؟ لقد كنت تزايدين من أجلها .
وتمتمت :
– هذا لا يعنى أننى سآخذها منك .
– لماذا لا ؟
– هذا سخيف .
– هل هناك شخص ما سيرفض أخذك لهدية منى .
حبيب مثلاً ؟
وحملقت إليه :

– لا يجب أن أجيب عن أسئلتك.
وقال مؤيداً :
– لا .. ليس من الواجب عليك .
وران الصمت بينهما .
وقالت ثائرة :
– كان يمكننى أن يكون لى زوج الآن .. لو أردت .
– ولكنك ليس لديك .. أليس كذلك؟
وزمجرت .
– وكيف أمكنك أن تعرف ذلك ؟ هل تتجسس على ؟
ولاحظت الدهشة على وجهه .. كصدمة . وأحست أنه يعانى لواعج .
واتجه إليها.. والتقط يديها .. وتقلصت معدتها .. وقال مفسراً :
– إنك لا ترتدين دبلة .
وجذبت يديها بعيداً عنه . والتقطت أنفاسها . وقالت لاهثة :
– وهل يجب أن أرتديها ؟
– وهل لديك ؟
– لا .
– إذن لايوجد زوج لديك .. وماذا عن الأحباء الذين يحومون حولك حالياً ؟

www.elromancia.com

وارتعشت رموش عينيها عند تدخله فى حياتها الخاصة وزمجرت:

– لدى حبيب .. أو ليس لدى هذا ليس من شأنك .

– إننى أجعل هذا شأنى .

وصدمت من لهجة حديثه .

– آه .. يا ربى ..هل أنت بكل أمانة تعتقد أنك يمكنك العودة هنا بعد كل تلك السنوات وتحصل على كل ما تركته ؟

وكانت عيناه تتحديانها.. ولا تتركانها فى سلام .. ولا تخبرانها بأى شىء .

وتمتم :

– إننى لا أظن أى شىء يا « ليزا » . ولكننى عندما رأيتك هناك تزايدين من أجل لوحتى . اعتقدت أن ..

وقاطعته بوحشية :

– اعتقدت ماذا ؟ إننى اشتريتها كذكرى لك ؟

سأخبرك لماذا أردت لوحتك تلك .. نعم .. إنها ذكرى . ذكرى للخطأ الذى ارتكبته بحبى وإيمانى برجل مثلك .

ولكننى الآن لا أحتاج إليها . أليس كذلك ؟ لقد رأيتك من جديد . واختبرت لأول وهلة أسلوبك فى اقتناص الفرص .

وحملقت إليه .. ثم استطردت :

– يمكننى فقط تخيل ماذا كان شعورك هناك عندما رأيتنى أزايد على لوحتك.. ربما دهشة داخلية .. ولكنها متبوعة بالرضا العميق

الشعلة القديمة ..لن يمكنك تصور من لم ينس الأوقات الطيبة التى اقتسمناها معاً . إننى أتساءل ماذا كان سيحدث لو اشتريت تلك اللوحة. واحتفظت بها كذكرى . ألست على حق يا « مايكل » ؟

وكان يرمقها فى صمت . فى صمت طويل .

وهز رأسه فى أسى .. وقال :

– لن يمكنك أن تكونى خاطئة أكثر من ذلك يا « ليزا » .. لم أقصد أبداً أن أؤذيك .. لا فى الماضى .. ولا فى الحاضر .

ونظرت إليه فى ازدراء ..ها هو « مايكل روبرت » يتحدث .. الفنان المغمور . المحب . الكاذب . المخادع .

وقالت فى قسوة :

– تؤذينى ؟ لن تفقد نعيم أحلامك على حسابى .. إننى أقوى منك الآن .. صدقنى .

ولم يجبها .. وظل على صمته الطويل.. وكرهت « ليزا » صمته.

وسألته :

– ماذا تفعل هنا على أى حال ؟ إن « ريفرزيند » على مسافة طويلة عن الأضواء الساحرة لـ « سيدنى » .

وعندما لاحت سحابة حزن على عينيه . شعرت بالندم لقسوة كلماتها.. وتمنت لو لم يعتقد أنها تهتم به .. على الرغم من حزنها .

وقال أخيراً :

– إن التغيير يكون أسهل كثيراً .

– أوه ؟

وخطا نحو النافذة ينظر للنهر . وقال :

– أحتاج بشدة إلى بعض الهواء النقى .. إننى أحببت دائماً هذا المكان . وعندما اكتشفت أنه سيباع ...

وخفق قلب « ليزا » بالتأكيد أنه لا يعنى .

واستدار إليها ببطء واستطرد :

– لقد قررت شراءه .. نعم يا « ليـزا » .. إننى المـالك الجـديد لـ « ستراث هافن » .

* * *

الفصل الثالث

وشعرت « ليزا » بساقيها تتثاقلان .

وقال « مايكل » :

– سأكون جارك .. هذا فى حالة كونك مازلت تقطنين فى نفس المزرعة .

ولم تستطع أن تستوعب مايقوله .. وكل ما استطاعت أن تفعله أن تظل متماسكة .

وقال « مايكل » بجفاء :

– أظن أن تلك الفكرة لا تستهويك .

وقالت أخيراً متلعثمة :

– هل .. هل حقاً .. أ .. أتمتلك « ستراث هافن » ؟

– نبرات صوتك شكاكة .

– ولكن كيف.. أقصد .

ورمقها بنظرة حادة . واستطرد :

– لقد عملت كثيراً طوال تلك السنوات الماضية .

– ولكن .. ولكنك فنان .. لقدقيل لى : إن المالك الجديد كان رجل أعمال .

www.elromancia.com

ولانت ملامحه .. وهمس :

– ألا يمكننى أن أكون كليهما ؟ .. انظرى إلىّ يا « ليزا » .

إننى لست فناناً محترفاً .. إن رسم اللوحات إحدى هواياتى .. مجرد متعة .

وابتلعت اعترافاته كل التفكير فى «دافيد» .. ووجوده فى الواقع .. وكل ما استطاعت أن تفكر فيه هو ضآلة معرفتها بـ «مايكل» .. عندما كانا يتبادلان الحب .. كم كانت أحاديثه معها ضئيلة . وآلمها أن تكون تلك الحمقاء الساذجة .

وتمتمت:

– اغفر لى سذاجتى .

وتنهد وحملت تنهيدته ثورة مكبوتة :

– تعلمين أن هذا ليس صحيحاً .. ولم أقل أبداً إننى أكتسب رزقى كفنان .

وقالت موبخة :

– إنك لا تقول الكثير أبداً .

وران الصمت بينهما هنيهة .. « ليزا» يحفُّها الأسى .

و « مايكل » تختلجه اهتمامات دفينة .

– لماذا كل تلك العداوة داخلك يا « ليزا » .. بعد كل هذا الزمن ؟

– عداوة ؟ .. « مايكل » إننى لست عدوانية .. إننى فقط أقول بعض الكلمات التى توضح أن الفرصة لم تسنح لى لأقولها منذ تسعة

أعوام . لقد رحلت سريعاً . ولكن كل هذا كان مجرد مياه تحت الكوبرى . أليست كذلك ؟

إن الحاضر بعيدجداً عن لب الموضوع .. وأظن أنك لن تعيش هنا بصورة دائمة .. ربما فى نهاية الأسابيع فقط .

وبالتأكيد كان لديها خطة لحماية صغيرها .. ونفسها .

فوالدتها سوف تتزوج « جيمس » سريعاً . وسيكون لهما منزلهما على الجانب الآخر من النهر .

وقال ببطء :

– سأعود إلى « سيدنى » .. ولكننى أنوى قضاء وقت أطول هنا .. بقدر الإمكان.

وقفزت أفكارها إلى الطريقة التى قال بها « أنوى » .

وقالت ساهمة :

– وأنت بدلت رأيك .

– هذا يتوقف .

– على ماذا؟

وقال وهو يرمقها:

– على عدة أشياء .

واستطرد يقول فى حنو :

– عموماً .. ألا تظنين أنه على الأقل يمكننا أن نكون صديقين .. علاوة على ذلك سوف نكون جيران .. وأردف :

www.elromancia.com

– وماذا عن عودتك إلى هنا بعد انتهاء المزاد؟

نتناول العشاء معاً .. هذا المساء .. ويمكنك أن تنصحينى بما أشتريه للمنزل .. سأحتفظ بمعظم الأثاث ولكن الباقى سيكون محتاجاً إلى لمسة أنثوية .

وحملقت إليه ، ليزا ، بدهشة مفاجئة .. وهمست :

– لن يمكنك التخلى عن ذلك بسهولة .. ألست كذلك ؟

– لا .

وبحدة قالت :

– لا يمكننى .. آسفة .

– لا يمكنك .. أم لا تريدين ؟

– كلاهما .

– ولم لا ؟

وكاد رأس ، ليزا ، تنفجر .. ولم لا ؟

– يا رباه .. لو كان فقط يدرى .

وفكرت .. ولكنه فى الحقيقة يعرف .. لو كان يعنى فعلاً المعيشة هنا .. حتى لو رحلت هى يوماً ما .. فإن شخصاً ما .. سوف يقول شيئاً ما .. عن ، دافيد ، وسوف يأتى للبحث عنه .

وجعلها الفزع ترتجف .. وتمتمت :

– أظن أن زوجتك ستكون سبباً جيداً لعدم مجيئى .. أليس كذلك ؟

وقال بسرعة :

– سأرى .. فهذا هو لب الموضوع .. لقد اكتشفت .

– لقد استمتع ، جورج لوكاس ، بإخبارى .

وبغضب صاح :

– وماذا أخبروك بالضبط ؟ .. بحق السماء يا ، ليزا ، .

إنهم حتى لا يعرفون القصة كلها .

وأمسك بكتفيها .. وأردف :

– إنهم ليسوا أصدقاء قريبين .. مجرد معارف .

– يا رباه .. هل تظنين إننى أكشف أسرارى الخاصة لأناس مثلهم .

واحتقن وجهها .. وتلاحقت أنفاسها .. وصرخت :

– دعنى أذهب .

وزمجر :

– لا .. ليس قبل أن تستمعى للحقيقة .. لقد كنت منفصلاً عن زوجتى عندما أتيت إلى تلك الجزيرة .. لقد حصلنا على الطلاق .. ولم أكن أنوى الوقوع فى الحب معك .

يا للعنة .. ولكنك كنت جميلة جداً .. وأقنعت نفسى بأننى سأكون راضياً لو رسمتك .. وأصبحت بقربك .. والاستماع إليك .. وإلى آمالك وأحلامك .. ولكننى أحببتك وأردت الزواج بك فى هذا الوقت .. يجب أن تصدقينى يا ، ليزا ، .

www.elromancia.com

وسرحت بخواطرها .. تصدقه؟ هل يتوقع منها أن تصدقه ؟ الإيمان بـ « مايكل » كان خطأها الأول .

وابتعدت عنه بعنف .. وبوحشية قالت :

– ادخر جهودك يا « مايكل » .. إنك تضيع وقتك .

وحاول السيطرة على نفسه بصعوبة .. وقالت ساخرة :

– هل هناك شيء ما يا « مايكل » ؟ .. هل خططك قد تلاشت فعلاً ؟

وقال متماسكاً :

– « ليزا » .. إننى أفهم كيف كان هذا صعباً عليك .

ولكن يجب أن تستمعى إلىّ .. إن زوجتى أصيبت فى حادث .. حادث فظيع .. وهى ..

وقاطعته فى حدة :

– إننى أعلم موضوع الحادث .. لقد أخبرنى بذلك أيضاً . ولكنك لم تخبرنى يا « مايكل » .. عندما أرسلت إلىّ خطاب . لم يكن هناك ذكر لأى حادث . ولا ذكر لأية زوجة . هل يمكننى أن أخبرك بما كتبته فى الخطاب ؟ هل يمكننى أن أذكرك بمحتواه ؟

وضغط شفتيه يكتم ثورته .

واستمرت تقول فى حدة :

– عزيزتى « ليزا » .. إننى أكره الكتابة إليك هكذا .. لقد كنت أود أن أواجهك شخصياً . لكى أشرح لك .. ولكن من الأفضل أن أبتعد الآن فوراً .. إنك شابة وسوف تنسيننى مع الوقت وأتمنى أن تسامحينى .

أريدك أن تسيرى فى حياتك .. يا فتاتى العزيزة .. وأن تكونى طبيبة بيطرية ممتازة .. وتكونى لرجل ما .. زوجة رائعة .. وأن تمنحيه أطفالاً رائعين .. إنك حبى دائماً .. « مايكل » .

ورنت إليه عندما انتهت .. مرفوعة الرأس .. وعيناها مغرورقتان بالدموع الحارة . وشحب وجهه وهمس :

– إنك تحفظينه عن ظهر قلب .

وأشاحت بوجهها عنه حتى لايرى الأسى فى ملامحها وشعرت به يقترب وأحست بأنفاسه الدافئة عندما مست يداه كتفيها برقة .

وتمتم :

– أوه .. « ليزا » إننى لم أخبرك عن زوجتى فى الخطاب لأننى اعتقدت أنه سيضيف إلى آلامك .. إنها كانت تحتاج إلىّ بطريقة لا أعتقد أننى أستطيع شرحها بصورة مناسبة . لقد كانت معقدة جداً .

وصرخت :

– ولكننى احتجت إليك يا « مايكل » .

www.elromancia.com

واحتواها برقة .

– إننى أعلم .. إننى أعلم . ولكنك كنت صغيرة وقوية ياحبيبتى ولم يكن لدى أى اختيار . ولكننى عدت الآن . ألا يمكنك أن ترى ذلك ؟ لقد عدت .

وأدارها إليه ببطء . وحبست أنفاسها . ومس شفتيها بشفتيه فى رقة ونعومة .. واستحال الدفء السارى بينهما .. إلى بركان محموم .. وارتجفت .. ودفعته بعيداً .

وقالت مشدوهة :

– آه .. يا ربى .

واقترب منها .

« ليزا » إننى ..

وقاطعته :

– لا تلمسنى .. لا تقل أية كلمة .

وانزعج .

وسرحت بأفكارها .. وانقشعت الحقيقة عارية أمامها .. لقد تقابل معها الآن مصادفة . بسبب المزاد والمزاد فقط .. وطوال الأعوام التسعة الماضية تركها وحيدة . ولم يسأل عنها .. ولم يفكر فيما إذا كانت حية .. أم فى عداد الأموات . ولم يفكر هنيهة أن يعرف عما إذا كان لديه طفل منها .. أم لا .

آه .. يا ربى .. وزوجة !! .. وماذا عن الأطفال ؟ هل أثمر زواجهما أطفالاً ؟ لقد كرهت الحقيقة الأليمة .. ولكن كان عليها أن تكتشف ذلك .

ونظرت إليه فى حدة .. وصاحت :

– وماذا عن زوجتك وأطفالك ؟

وجاءتها إجابته :

– ليس لدى أطفال .

وابتلعت لعابها بصعوبة .. واستطردت :

– وزوجتك ؟ أين هى ؟ هل ستعيش هنا معك ؟

– لا .

– انفصال آخر ؟

– لا .

– ماذا إذن؟

واحتقن وجهه .

– إن زوجتى .. توفيت .

وصعقت « ليزا » .. إنها لاتريد التعاطف معه . أو من أجله .

وتمتمت :

– متى ؟

– فقط منذ عام واحد .

www.elromancia.com

وقالت ببرود .. بلا تعاطف :

- عام واحد .

وسرحت بخيالها .. منذ اثنى عشر شهراً .. ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً . أكثر من مجرد وقت كاف لكى يتصل بها .. لو كان يهتم بالفعل .

وقالت بجفاء :

- أرى ذلك .

وزمجر « مايكل » :

- إنك لا ترين شيئاً إطلاقاً .. إنك تأخذين كل شيء بطريقة خاطئة . إنك لن تصدقى مدى اهتمامى بك .

وصرخت :

- لا .. لا ..

ومسح شعره بأصابعه .. وهمس بأذى :

- يا للسماء !

وابتعدت عنه « ليزا » .. لا تريد أن تتعاطف معه .

لا تريد أن يذكرها بما كان فى الماضى .. لكن لن تكون أبداً تلك الساذجة البلهاء .

وفجأة .. جزعت .. فقد تذكرت .. ونظرت إلى ساعة يدها .. إنها الخامسة .. فإن لم تهرع بالعودة إلى المنزل فوراً .. فسوف تأتى والدتها تبحث عنها .

وقالت متماسكة وهى تتجه نحو الباب :

- يجب أن أذهب .

ودلفت خارجة من الباب .. هرع خلفها .

- أرجوك .. ما زال هناك الكثير من الأحاديث أريد تسويتها معك .

- لقد فات الأوان .

وأسرعت تهبط الدرج . وفجأة تسمرت قدماها .. لقد رأت والدتها تتجه نحوها .. وبجوارها يسرع ابنها « دافيد » .. فى خطواته .. وشعر رأسه الأشقر يتطاير .

ثم سمعت وقع أقدام من خلفها .. لقدكان « مايكل » .

يحمل حقيبة يدها التى نسيتها بالداخل .

وصدمت .. لم تستطع أن تفعل شيئاً .. أو تقول أى حرف .

وهرع « دافيد » يصعد الدرج إليها صارخاً :

- ماما .. ماما .

* * *

www.elromancia.com

الفصل الرابع

وسمعت « ليزا » شهقة « مايكل » عندما أصبح بمحاذاتها وبدت نظرة جزعى فى عينيه .

وزاغت نظرات « ليزا » بين « مايكل » وبين ابنها .

وأحست بأن « مايكل » يتألم كثيراً .

وألقى « دافيد» بنفسه بين ذراعيها .

– لقد فزنا يا ماما .. فزنا .. وخمنى يا ماما من فى الأسبوع القادم سوف نلعب ضده ؟

وقالت ببطء :

– عظيم ياحبيبى .

– هيه .. ماما انظرى إلى الهليوكوبتر هناك . إنها رائعة جداً. هل يمكننى ركوبها ؟

وشعرت « ليزا » أن الموقف يهز أعصابها بقوة وتلعثمت .

– « دافيد » .. لا أعتقد .

وقاطعها « مايكل » :

– يمكن ترتيب ذلك .. حيث إنها طائرتى .. يمكننى أن أفعل بها ما أشاء .

والتفتت « ليزا » تحملق إليه غير مصدقة .

– طائرتك ؟

ورمقها طويلاً .

– أجل طائرتى .

وصرخ دافيد فى فرح :

– أوه .. هل سمعت هذا يا ماما ؟

وأومأت فى ضعف .

ونظر « دافيد » طويلاً إلى « مايكل » .. ثم إلى والدته . ثم إلى « مايكل » مستفسراً :

– هل أنت صديق لماما ؟ يا سيدى ؟

وارتعشت شفتا « مايكل » وهمس :

– لقد .. لقد كنت منذ زمن طويل .

– وهل .. هل أنت حقاً تمتلك الهليوكوبتر ؟

وأجابه « مايكل » وهو يرنو إلى « ليزا » فى حدة :

– يبدو أننى سوف أواجه المتاعب لكى أقنع الناس ليصدقونى . أجل « دافيد » إنها ملكى .

– فووه .. هل يمكننى ركوبها ؟ اليوم ؟ الآن ؟

– لو أحببت ذلك .

– « دافيد » إننى لست ..

وقال « دافيد » متعجباً :

– إن ركوب الهليوكوبتر .. يا له من متعة !

وزمجرت « ليزا » ونظر إليها ابنها فى دهشة :

– هل أنت على ما يرام يا ماما ؟ إنك تبدين مريضة .

– إننى .. إننى أعانى الصداع وأخشى أنه عليك أن تعتذر للسيد « روبرت » عن ركوب الطائرة اليوم .

– آه ..

وركع « مايكل » على ركبتيه . حتى تلتقى عيناه بعينى « دافيد » .. وقال برقة :

– لا تنزعج ياعزيزى .. فهناك المزيد من الأيام القادمة أمامنا .. ولكن بالمناسبة .. كم يبلغ عمرك ؟

وتلاحقت أنفاس « ليزا » .

وأعلن الصبى فى كبرياء :

– أنا فى الثامنة .. سأبلغ التاسعة فى نوفمبر .

ونظر « مايكل » فى عينى « ليزا » فى حدة .. وتمتم :

– التاسعة .. آه ؟ .. فى نوفمبر .

وتطلب الأمر كل شجاعتها لتلتفت إليه فى كبرياء .. وها هو قد أدرك الحقيقة .. ترى ماذا عساه سيفعل ؟

واعتدل « مايكل » فجأة .. عندما وصلت والدة « ليزا » ولكن وجودها لم يمح أثر الانزعاج فى محياها .

وتمنت ، ليزا ، أن تبتلعها الأرض .. فهى لا تريد أن تقوم بتقديم ، مايكل ، إلى أمها .

وكانت السيدة ، ليندا ستون ، فى الخامسة والخمسين من عمرها وما زالت تحتفظ بجمالها .. وحيويتها .

وقد ترملت عندما كانت ، ليزا ، صغيرة .. وقدتقرب السيد ، جيمس ماكسويل ، مدير ، ليزا ، إلى والدتها وعرض عليها الزواج . وسوف يتم زواجهما خلال أسبوعين .

وأدركت والدتها مدى حملقتها إلى وجه ، مايكل ، فقالت فى حنان :

– هييه .. يا عزيزتى ..هل كان حظك حسناً فى المزاد ؟

– أوه .. أخشى أنه لم يكن كذلك .. إن كل شىء مرتفع الثمن جداً .

وأطلق ، دافيد ، صفارته .. واتجه لجدته :

– هييه .. خمنى ماذا حدث ؟ . إن هذا الرجل صديق قديم لماما وهو يمتلك تلك الطائرة .. وسوف يتركنى أركبها فى وقت ما .. أليس كذلك ياسيدى ؟ !

– أعدك بذلك .

– انتظرى ..إنه ..

– صه .. يا ، دافيد ، .

وابتسمت ، ليندا ، معتذرة لـ ، مايكل ، وأردفت :

– إن هذا لطيف جداً منك يا سيد .. أوه .. ، ليزا ، ألن تقدمينا لبعضنا ؟

وتسمرت ، ليزا ، حيرى .. ليس من السهل تقديم الأم إلى ذلك الرجل الذى جعل وحيدتها حاملاً .

وسوف تتعرف ، ليندا ، على الاسم فوراً .

وتنهدت ، ليزا ، فى استسلام .

– ماما .. إنه المالك الجديد لـ ، ستراث هافن ، .. السيد ، روبرت .. السيد مايكل ، .

– يسعدنى رؤيتك يا سيد .

ثم صرخت فجأة:

– أوه .. ياعزيزتى .

وكانت لحظة كريهة .. أنقذهم منها براءة هذاالطفل .

وقال ، دافيد، وهو يهز يد ، مايكل ، :

– أسعدتنى رؤيتك ياسيد ، روبرت ، .

– يمكنك أن تنادينى ، مايكل ، .. يا ، دافيد ، .

وارتبكت ، ليزا ، .

وقالت :

– أعتقد أن ، دافيد ، يجب أن ..

وقاطعها بحزم :

– إن ، دافيد ، سيكون أفضل .

وسأله ، دافيد، فى فرحة :

– هل ستعيش هنا بالفعل يا ، مايكل ، ؟

– نعم بالتأكيد .

– أوه .. هل يمكننى الحضور لزيارتك فى بعض الأوقات ؟ لن أضايقك .. فى الحقيقة لن أضايقك .

– فى أى وقت يا بنى .

وأطلقت كلمة يا بنى .. نيران الخوف داخل ، ليزا ، .. ونظرت فى تضرع إلى ، مايكل ، : أرجوك لاتخبره .. أرجوك .

ولكن نظراته كانت باردة .. وارتجفت ، ليزا ، .

– هل سمعت ما قاله يا ماما ؟

– نعم يا ، دافيد، سمعت .

وبارتباك تناولت حقيبة يدها من ، مايكل ، وأردفت :

– لطيف أن أراك من جديد يا ، مايكل ، .

واستطردت :

– ألن تأتى يا ماما ؟

وبدت ، ليندا ، كأنما رأت وحشاً . وتلعثمت :

– أوه ..نعم .. بالتأكيد .. وداعاً يا سيد .. آه وداعاً .

وتأبطت ، ليزا ، ذراع والدتها وساعدتهاعلى هبوط السلالم ، دون أن تنظر للخلف .. وتبعهما الصبى فى فرحة وسعادة .

وطافت الأفكار المرعبة فى خيال ، ليزا ، .. ليس هذا هو الوقت المناسب لمجيء ، مايكل ، .. ولاقتحامه حياتها فى عنف وبرود .. واكتشافه أن له ابناً .. إن ، دافيد ، لا يحتاج إلى والد .. وسوف لا يحصل على أية منافع من وجود ، مايكل ، الآن فى حياته فـ ، دافيد، لم يشك أبداً من عدم وجود والد له .

– ، ليزا ، .

وجزعت :

– ماذا ؟ .. آسفة يا ماما ..ما زلت منزعجة .. متعبة .

– لا ألومك يا حبى إن الأمر كله كأنه صدمة .

رؤية ، مايكل روبرت ، من جديد . اكتشاف أنه اشترى «تراث هافن» .. ثم أسلوب ، دافيد، فى التعامل معه هكذا .

وتنهدت ، ليزا ، .. وكانوا فى طريقهم إلى المنزل .. وتعالت صيحات الغبطة والحبور من شفتى ، دافيد ، وهو يقفز فى مرح ويجرى فى سعادة .. وتتزايد قفزاته على الكوبرى .

– ، دافيد ، .. بحق السماء كن هادئاً .. وإلا سقطت أنا وجدتك فى النهر .

ورنا إليها فى انكسار .

– آسف يا ماما .

وأسرع يعدو فى قوة أمامها .

وقالت « ليزا » تشكو :

– يا له من صبى .

وقالت والدتها فى نعومة :

– ربما أنه يحتاج إلى يد والد تمسكه فى حزم .

ورمقتها « ليزا » فى حدة .

– ماذا تقصدين ؟

ونظرت إليها والدتها فى براءة ، وتمتمت :

– هل تتحدثين إلىّ ؟ لا شىء .. لاشىء .

– أوه .. نعم .. فأنت تظنين أنه بسبب وسامة « مايكل » والثراء الذى يحف به .. سوف ألقى شباكى حوله لكى أتزوجه .. أليس كذلك ؟

وقطبت « ليندا » جبينها .

– حسناً .. إنه ليس على الصورة التى تخيلتها طوال تلك الأعوام المنصرمة . لقد ظننته ذا وجه شاحب وعينين قاسيتين .. ووحشية وهمجية فى سلوكه .. وهأنذا .. أراه الآن .. هذا .. الـ « مايكل روبرت » .. إن هذا المساء فى صالحه تماماً .

– أوه .. يا ماما .. أرجوك .. دعى بعض الكبرياء لى .. ولاتنسى أنه قد أذانى .. وجرح كرامتى .

– نعم يا « ليزا » .. ولكن هذا كان منذ وقت طويل فى الماضى يا حبى . إن الناس يرتكبون الأخطاء .. ولكن الحياة تستمر .. وربما أنك ..

وتلعثمت . ثم قالت فى ارتباك :

– أوه .. ياحبيبتى .. إننى فقط .. فقط تذكرت أنه متزوج .

وأعلنت « ليزا » فى حدة :

– إن زوجته توفيت .. وهذا لايعطى أى اختلاف .. وقبل أن تسألينى . لا .. ليس لديه أطفال .

– جدتى .. ماما .. هيا بنا .

– نحن آتيان يا « دافيد » .

وسارا معاً فى صمت .

وأخيراً قالت « ليندا » بعد تردد :

– ماذا تظنين أنه فاعل بشأن « دافيد » .. أعنى أنه واضح جداً أنه قد خمن من هو هذا الصبى .. ومن لا يمكنه ذلك ؟

وبنفاد الصبر صرخت « ليزا » :

– ألا يمكنك الكف عن الحديث فى هذا الموضوع يا ماما .. إننى أتمنى أن أنساه .

www.elromancia.com

– من الصعب نسيان الشخص الذى سوف يقطن بجوارنا.. الباب بجوار الباب .

واستطردت والدتها:

– لا تكونى حمقاء يا « ليزا » فإنه لن ينساك أبداً .. أو ينسى « دافيد » .. ما زلت أذكر الطريقة التى كان ينظر بها إلى «دافيد» جوع . جوع من الحب .

وأحست « ليزا » بالامتعاض .. وأرادت أن تجادل والدتها بأن هناك أنماطاً متعددة من الجوع .. بلاشك ومن المؤكد أيضاً أن الحب ليس فى مخيلة «مايكل» .. إن الملكية هى التعبير الأقرب للمعنى.

وقالت بحزن :

– يمكننى أن أدعه يرى « دافيد» فى بعض الأحيان .

ولكنه ليس فى حاجة إلى أن يخبرنى أنه والد ابنى .

وأطلقت والدتها ضحكة جافة .. وقالت :

– ومن الذى سيوقفه عند حده ؟ .. هناك شىء ما يخبرنى أن «مايكل روبرت» ليس شخصاً سهلاً فى المعاملة ، فبمجرد أن يقرر شيئاً ما .

وذكرتها تلك الكلمات بما قاله « مايكل» لها وهما فى المكتبة .

– لن أدعه ينتهى على تلك الصورة يا « ليزا » .

وكان كل ذلك قبل أن يكتشف وجود ابنه .

كان هذا كثير جداً على « ليزا » .

وناولت « ليزا » مفاتيح السيارة لوالدتها .

– تفضلى يا ماما .. وعودى للمنزل مع « دافيد» .. أما أنا فسأذهب لأرعى الفرس بالإصطبل .

وابتعدت « ليزا » تاركة والدتها مندهشة .. وتعالى صهيل الفرس لرؤية « ليزا » . وابتسمت وأسرعت تربت رقبة « شيرى » الفرس الحبيبة إلى قلبها .. وهمست فى أذنها :

– يا لك من فتاة طيبة .. لا تقلقى ..سوف تلدين مهراً جميلاً بعد شهر واحد فقط ..يا « شيرى » يا فتاتى الجميلة .

وأومأت « شيرى » برأسها كما لو أنها تتفق معها .

وهمست « ليزا » لها من جديد .

– إن الرجل الذى وهبنى ابنى . قد عاد الآن يا « شيرى » ولكننى لم أعد أحبه . بل إننى أكرهه .. ولكن هذه ليست المشكلة . بل .

ومالت على رأس الفرس وأغمضت عينيها .

– بل .. ولكن .. إن الحقيقة هى .. عندما اقترب بأنفاسه اللافحة نحوى .. أحسست .. آه .. يا له من إحساس عجيب . وكيف يكون مع وجود تلك الكراهية ؟

ومالت « شيرى » برأسها على يد « ليزا » ومستها بلسانها ، كأنما تقول : إن كل شىء على ما يرام .

وقبلتها « ليزا » وتركتها .. عائدة إلى المنزل .

وبينما هى فى الطريق .. لمحت شخصاً واقفاً فى بلكون منزل « ستراث هافن » .. لقد كان « مايكل » .

وأحست « ليزا » بقشعريرة .. إنه يتفحصها .

إنه يخطط للخطوة القادمة .

وشعرت « ليزا » بأنه سوف يعبر النهر .. ويأتى إلى المنزل إن لم يكن من أجلها . فسوف يأتى من أجل ابنه . ولم يبق الكثير بين غروب الشمس وبزوغها فجر اليوم الجديد .

وكان السؤال الوحيد .. كيف حدث كل هذا وبهذه السرعة ؟

* * *

الفصل الخامس

قال « جيمس » وهو يتناول قدح القهوة :

– لقد علمت أن « جارك » رجل هارئ .

ونظرت « ليزا » إلى مديرها .. وعلى الرغم من أعوامه الستين فإنه ما زال يحتفظ بحيويته .

قالت وهى تنهض حاملة أطباق الطعام من على المائدة :

– فى الحقيقة إننى أعرفه جيداً .. وقد قابلته منذ أعوام ماضية .

ورفع حاجبيه فى دهشة :

– حقيقى ؟ .. أخبرينى إذن .

وباقتضاب قالت :

– لا يوجد الكثير لأخبرك به .. لقد كان زائراً لـ « ستراث هافن » منذ أعوام ماضية .. وقد قابلته بالمصادفة عندما كنت أحمل سلة البيض للسيدة « ديفيز » .

وهمهم « جيمس » :

– أوه .. واسمه « روبرت » .. أليس كذلك ؟

– رجل أعمال كبير من « سيدنى » .

– يبدو أنه كذلك .

www.elromancia.com

وابتسم ، جيمس ، فى مرح .

– ولا يمكن الوصول إليه كذلك ..مما سمعته عنه .

ورمقته بنظرة حادة .

– والآن يا ، جيمس ، .

ورفع ذراعيه فى حركة مدافعة عن نفسه يمازحها .

– أوه .. ، ليندا، .. يا حبى .. الحقيقى .

وأسرعت إليه ، ليندا ، .

وابتعدت عنهما ، ليزا ، .

– ماما .. ماما .

ولاح ، دافيد ، فى الردهة.. وكان وجهه مضيئاً بالسعادة .. وهتف :

– هناك سيارة حمراء آتية نحونا .. أظن أنه ، مايكل ، .

وسأل ، جيمس ، فى حيرة :

– ، مايكل ، ؟ من هو ، مايكل ، .

وحبست ، ليندا ، أنفاسها . وحاولت التماسك .

– إنه يعنى ، مايكل روبرت، الشخص الذى تحدثنا عنه .

وقطب ، جيمس ، جبينه :

– ، دافيد ، يطلق عليه ، مايكل ، .

وتنهدت ، ليزا ، وأسرعت تستدير لابنها :

– اذهب أنت لتقابله ياحبيبى .. وسوف ألحق بك .. وجرى الصبى خارجاً .

وشرحت ، ليزا ، :

– لقد تقابلت مع ،مايكل ، بعد المزاد .. بالأمس .. وقد لحقت بى ماما و ، دافيد، .. وتعارف الجميع .

– آه .

ولم يعجب ، ليزا ، تلك الطريقة التى ينظر بها ، جيمس ، إليها . لقد بدا غريباً جداً .

واغتصبت ابتسامة .. وقالت :

– سأذهب لأرى ماذا يريد .. تناول شرابك مع ماما هنا .

وأسرعت تهرع خارج الحجرة قبل أن يمطرها بأية أسئلة أخرى .

وهبطت السلالم مسرعة .. وفجأة فوجئت بـ ، مايكل ، يلتقطها بين ذراعيه .

وشهقت .. ودفعته بعيداً .

وضحك قائلاً :

– ما هذا التغيير السعيد الذى جعلك تشتاقين لرؤيتى اليوم ؟

وجفلت وقالت مصدومة :

– إنك آخر رجل على وجه الأرض أرغب فى رؤيته .

وقال ساخراً :

www.elromancia.com

– أتعنين أن تلك اللهفة ليست من أجلى ؟

وأشار إلى ملابسها .

– وتلك الملابس أيضاً ؟

ونظرت ، ليزا ، لهندامها .. واكتشفت أنها ما زالت ترتدى التايير الأبيض منذ عودتها من الكنيسة .

وقالت فجأة :

– إنك تعلم جيداً إننى لم أكن متوقعة قدومك اليوم .

وحملق إليها مشدوهاً :

– أليس كذلك ؟

واحتقنت وجنتاها :

– بالتأكيد لا .. إننا ننتظر ضيفاً .

– من ؟

– رئيسى بالعمل .

واستطردت تقول دون أن تخبره بأنه سيكون زوج والدتها فى المستقبل .

– إنه أتى لغداء يوم الأحد .

– من المحتم أن لديك علاقات عمل قوية لتدعى رئيسك فى عطلة نهاية الأسبوع .

وأحست ، ليزا ، بنبرة صوته الحزينة .. واستمرت تقول :

– إن ، جيمس ، يأتى للغداء كل يوم أحد .. وليس هذا من شأنك يا ، مايكل روبرت ، .. على أية حال .. ماذا تفعل هنا ؟ إنك لست مدعواً .

وضحك ببرود :

– إن شيئاً ما يحدثنى بأنه لا داعى لكى أنتظر الدعوة .

وحملقت إلى وجهه :

– أظن أننى قد أخبرتك بأن تبتعد عنى .

وزحف الغضب بقوة على ملامحه :

– كفى عن ذلك يا ، ليزا ، .. تعلمين أننى لن أبتعد .. فها هو ابنى يعيش هنا .

وجزعت وهى ترمق ، دافيد ، واطمأنت لأنه يلعب بعيداً عنهما .

– أرجوك يا ، مايكل ، اخفض صوتك .

ورفع أحد حاجبيه :

– أرجوك ؟ .. الآن تقولين أرجوك ؟.. لقد اكتشفت منذ البارحة أنك أعلنت الحرب بيننا .

وابتسمت .

وهمست فى نعومة :

– لا حرب ؟

ورفع يده ليمس وجنتيها .. برقة .

وانتفضت .. وابتعدت عنه .

وقال بعمق :

– لقد جئت الآن يا ، ليزا ، لأكون واقعياً .. راغباً فى التفاوض .

وفى حزن قالت :

– ماذا تتوقع بحق السماء ؟.. بعد غياب تلك الأعوام الطويلة .. أن تعود .. فتهرع إليك بأذرع مفتوحة لاستقبالك .

وأجابها :

– سأخبرك بما أتوقعه ..أتوقع منك على الأقل أن تستمعى إلىّ .. أتوقع أن تسمحى لى بنصيب معقول من ، دافيد ، وحياته .. أن أحصل على الفرصة لأحبه كأب له الحق فى حب ابنه .

ونظرت إليه ، ليزا ، فى رعب .. إن الرجل مخبول جداً .. إنه لا يحترم مشاعر الآخرين . إنه يغرقها بحبه .. وآماله فى الزواج بها .. ثم يرحل فجأة .. لتكتشف بعد ذلك أنه متزوج .. وصرخت فى وجهه :

– ليس لك الحق يا ، مايكل روبرت ، .. لقد تخليت عن حقوقك منذ تسعة أعوام .. وأنا أحذرك .. لو آذيت ابنى .. فإننى سوف ..

وقاطعها فى حدة:

– إنه ابنى أيضاً .

– بصورة فنية فقط .

وزمجر :

– هل هى غلطتى ؟ .. وكيف لى أن أعلم ؟

– لو مكثت بقربنا منذ البداية ..لأمكنك أن تكتشف .. تكتشف ..

– إننى نذل .

– لو كان الكاب يناسبك .. فارتده .

– وتراخت ذراعا ، مايكل ، على جانبيه .. وكشف اليأس عن قناعه الذى حف بوجه ، مايكل ، بقوة .

وشعرت ، ليزا ، بالذنب .. كان عليها أن تتريث قليلاً .. كان عليها أن تكون واقعية .. بغض النظر عن الظروف .. إن العداوة تولد العداوة .. وهى تدرك تماماً أن «مايكل» رجل قوى.. وله نفوذ كبير .. ولو أخفت عنه ، دافيد ، .. فربما يختطفه .. لقد سمعت عن آباء كثيرين قاموا بخطف أولادهم .. وسافروا بهم وراء البحار .

وأحست بالذنب الشديد .

وجاءها صوته فى نبرة غريبة :

– دعينى أحذرك يا ، ليزا ستون ، .. لو كنت تعتقدين أننى كنت نذلاً فى الماضى .. فهذا لا يعنى شيئاً للنذالة التى سأكونها فى الحاضر .. والمستقبل .

أنت لا تريدينى أن أخبر ، دافيد ، أننى والده .. ألست كذلك ؟

وحبست « ليزا » أنفاسها .. وجالت عيناها تبحثان عن « دافيد » كان يتظاهر بقيادة سيارة « مايكل » وهويطلق أصواتاً مختلطة من بين شفتيه .

وسمعت « مايكل » يقول من جديد :

– مهما نويت أن تفعلى .. فلا أحد يمكنه أن يبعدنى عن ابنى .. أتفهمين ؟.. لا أحد ..

وعند هذا.. أسرع مبتعداً عنها .. ولكن عند بوابة الخروج .. استدار إليها .. وقال ببرود :

– يسعدنى مجيئك اليوم لتناول الشراب معى بالمنزل . وأعتقد أن الثامنة وقت مناسب . فبالتأكيد سيكون ضيفك قد انصرف .. ولا حائل أمامك يمنعك من الحضور فهناك الكثير نريد الحديث عنه معاً .

وأشار إلى « دافيد » ونظر إليه نظرة ذات معنى .

وتطلع إليه « دافيد » وبدا أنه قد استمع لآخر كلماته . فقال :

– وهل يمكننى الحضور أيضاً يا «مايكل» ؟

وأجابه برقة :

– آسف يا بنى .. الكبار فقط مسموح لهم بالحضور .. ثم إنك يجب أن تذهب صباحاً إلى المدرسة .

وهتف « دافيد » :

– أووه .

وهبط من السيارة منكسر النظرات :

– ألا تحب المدرسة ؟

– افترض أن كل شىء على ما يرام .

– يمكنك الحضور إلى منزلى غداً بعد المدرسة .. لو كنت تفضل ذلك .

وأتى شعاع قوى حف بملامح « دافيد » .

– إن هذا لعظيم .

وهرع إلى والدته .

– هل يمكننى ياماما ؟

وتطلعت إلى ملامح «مايكل».. وتماسكت.. وفى هدوء قالت :

– طالما يمكنك العودة للمنزل قبل حلول الظلام .

– هييه ..عظيم ..عظيم .

–إذن سأعرج عليك يا « دافيد» بالسيارة .. لاصطحبك معى .

ونظر لـ « ليزا » :

– أعتقد أنه يجب الركوب معى فى سيارتى .

ونظرت إليه ولم تعلق .. فلو قالت لا .. ربما تسير الأمور إلى الأسوأ .

وحملقت إلى الرجل الذى كانت تحبه ذات يوم .. إنه قوى .. فتوة .

غريب .. وبانت الكراهية قابعة داخل أعماقها .. والألم .

وبدت نظرة باردة على وجهه .. وابتسامة جافة لاحت بين شفتيه . دفعت بالرعب لأوصال « ليزا » .. وقال :

- إذن سأراك مساء .. وأنت يا بنى غداً .

ودلف داخل سيارته .. وألقى تحية قصيرة إلى « ليزا » قبل أن يدير محرك السيارة .

ورمقته وهو يبتعد .. فى حنق .. تباً لها ما الذى جعلها تستجيب للمسات هذا المخلوق البغيض دون أى رجل آخر .

وقال « دافيد » فى سعادة :

- إن « مايكل » لطيف حقاً .. أليس كذلك يا ماما ؟

وأضاف :

- لقد أحببته جداً .

وخفق قلبها .. وقالت بصدق :

- وهو يحبك أيضاً يا حبى .

* * *

الفصل السادس

وقفت « ليزا » أمام المرآة تتطلع إلى هندامها .. وتمتمت :

- آه يا ربى .. لن أرتدى هـذا ..إنه فظيـع .. وأطاحت به بعيداً .

لقد كان كل ما ترجوه «ليزا » أن تبدو جذابة .. وليست مجرد امرأة . لقد اقترحت والدتها ارتداء الفستان الأحمر . واللون يناسبها إلى حد ما ، ولكن تأثيره يبدو بوضوح ويجعلها مثيرة جداً ومرغوبة .

وأتاها صوت خلفى .. أليس هذا ما ترغبينه ؟

وأحست بغصة فى حلقها .. إنها لاتريد إغراء « رويرت » .. فإنها تؤمن بأن ذلك ليس ضرورياً .

فبقدر ما تكرهه .. بقدر ما تريده .. وفكرت .. ماذا لو لم تسر الأشياء كما تتمنى ؟ وماذا لوكانت هى الضحية وليس هو؟

ودلفت تاركة الحجرة .. وظلت تحادث نفسها طويلاً .

وحاولت أن تأكل شريحة من اللحوم أولاً . وفكرت .. إنها ستخبره بأنه يمكنه رؤية « دافيد » كلما رغب فى ذلك . على ألايكشف حقيقة أبوته له .. وسوف يمكنها أن تشرح الاختلاف بين الحياة الريفية والمدنية .. إن هذا الرجل بالتأكيد ليس بدون قلب . حتى لو لم يأبه

www.al-romancia.com

بعواطفها . فإنه بلاشك سوف يهتم بـ « دافيد » .. ويمكنها أن تشير له كيف أن الصبى كان يتأذى دائماً من كلام الناس وتعليقاتهم . ولا داعى لأن تذكر تعليقات زملائه بالمدرسة .. فالأطفال دائماً أشقياء ولا يجيدون السلوك القويم .

نعم يمكنها فى البداية أن تضع الأسباب. أولاً .. ولكن ماذا لو لم يكن لذلك أى مفعول ؟

وتوقفت « ليزا» عن التفكير .

وصممت .. لو لم يفد هذا.. فإنها سوف تستخدم التأثير الأنثوى .. وتستثمر تلك القوى الجاذبية بينهما ..عليها أن تستخدم كل أسلحتها.. ربما من الخطأ أن تعد . ثم لا تفى بالوعود .

وطردت من مخيلتها كل أحاسيس الذنب .. يجب أن يتعلم «مايكل » أكثر . أفضل من تهديد أمان ابنها .

لقد استعدت « ليزا » لتفعل أى شىء لحماية سعادة « دافيد » حتى لو كان ذلك يعنى ابتلاع كرامتها .. حتى لوكان يعنى أن تضع نفسها بحرية فى فك الأسد ... وقطع تفكيرها دقات متواصلة على بابها .

– « ليزا » هل يمكننى الدخول ؟

– لحظة واحدة .

وتناولت بسرعة روباً وارتدته لتخفى هذا الفستان المثير الأحمر المرتدية إياه .. إنها لا تريد والدتها أن تقفز إلى النهاية . حتى لو كانت صحيحة . وقالت ودقات قلبها تتصاعد :

– تفضلى .

– إننى ..

وتوقفت والدتها . ثم قالت :

– ألست تشعرين بالحرارة تحت هذا الروب ؟

وبحركة تراجيدية . التقطت « ليزا» فرشاة الشعر وظلت تقوم بتسوية شعرها وتتحدث فى نفس الوقت .

– سيكون الجو لطيفاً إلى حد ما فى السيارة .

ونظرت والدتها إلى قدميها قائلة :

– وماذا سترتدين من أنواع الأحذية ؟

– الأسود .

– الأسود ؟ لا .. الأحمر أفضل . إنك ستقتلينه بكل تأكيد .

وتنهدت « ليزا » وبحدة قالت :

– ماما.. إنك تعلمين أننى سأذهب فقط للحديث مع هذا الرجل والعودة سريعاً .

ونظرت إليها والدتها فى براءة . وقالت :

– بالتأكيد .. بالتأكيد .

وتناولت زجاجة عطر .. ورشت بها « ليزا » .

وضحكت « ليزا » .

– أوه .. ياماما .. إنك رومانسية جداً .

وقبلت « ليزا » ابنها .

– كن طفلاً مطيعاً لجدتك حتى أعود .

وابتسم لها واحتضنها .. وأومأ برأسه .. وكانت قيادة سيارتها خلال الطريق على الكوبرى تعطيها الكثير من الوقت لكى تفكر .. ولتقلق أيضاً .

وفجأة .. تمنت لو لم ترتد الفستان الأحمر .. لقد كانت حمقاء حينما ارتدته .. كيف تسمح لها كرامتها أن تبدو هكذا .. فى تلك الإثارة والأنوثة الغائرة .. ووصلت السيارة إلى منزل « مايكل » وتضرعت أن يكون « مايكل » واقعياً .

وبدا المنزل مشعاً تحت ضوء القمر .. بنوافذه القليلة العاكسة للأضواء .. وترددت « ليزا » على السلالم الحجرية .. وتقلصت معدتها .

وما كادت تطأ أولى خطواتها السلالم حتى تسمرت قدماها . فقد كان هناك كلب ضخم من كلاب الحراسة ينتظرها على أول درجة من السلالم .

لقد تعلمت ألا تظهر خوفها من الحيوان فى مواجهته .. ولكن شعرها قد وقف بشدة .

– اجلس .

وحاولت بكل جهدها أن يكون صوتها طبيعياً .. ولم يحدث أى تغيير .. فأسنان دراكولا الواضحة بين فكى هذا الحيوان ازدادت ظهوراً .

والتفتت حولها .. وتساءلت أين « مايكل » ؟ .. إنه يتوقع حضورها . أليس كذلك؟.. إن الساعة قد تعدت الثامنة بعشر دقائق .

وصرخت :

– لماذا لاتجلس أيها الكلب ؟ .. أوتذهب بعيداً .

وجاءها صوت عميق من خلفها :

– ربما أنه يريد فقط التطلع إليك .

وأردف :

– ارجع يا « هركليز » .

وأطاعه الكلب .. واختفى .

وكان « مايكل » واقفاً فى البلكون .. ويرتكز بجسده على سور طويل . وحبست « ليزا » أنفاسها .. وبدا عليه التوجس مثلما كان كلبه .. وأكثر خطورة .. ومما زاد من صورته فى مخيلتها ما يرتديه ..

حذاء أسود .. بنطلون أسود .. سويتر برقبة سوداء .. وجاءها صوت «مايكل» :

– هل تصعدين ؟ أم نجلس معاً فى الحديقة ؟

وقبل أن تجيبه .. فوجئت به بجوارها .. يمد إليها يده .. وأحست بثورة عارمة تجتاحها .

وتذكرت ..عليها أن تكون مسلية وممتعة .. وقالت بحدة :

– يجب أن تفعل شيئاً بخصوص كلبك هذا .

واستطردت :

– هذا إذا كنت ترغب فى أن أسمح لـ « دافيد » بالحضور إليك .

وتعالت ضحكات « مايكل » .

وشعرت بالانزعاج . وصرخت فيه :

– لماذا تضحك ؟ .. لم أقل أى شىء مضحك .

وقال من بين ضحكاته :

– إنه اختيار كلمة (أسمح) .. تعالى .. لقد مللت من هذا السلوك الأحمق .. سندخل المكتبة ونتناول العمل الحقيقى .

وأمسك بذراعها .. واقتادها بجواره داخل المنزل عابراً الردهة ثم دلف معها إلى المكتبة .

وحاولت «ليزا» أن تخفى ارتباكها .. كانت تشعر بالخجل لارتدائها هذا الفستان المتحرر الصريح فى إثارته .. وتمنت لو لم

يلاحظ « مايكل » تفاصيل هذا الفستان .. والتفتت للخلف وانتفضت .. كان « مايكل » يرمقها بغيظ .. وغضب .. وقال :

– هل ستذهبين إلى مكان ما يا «ليزا» ؟.. أم أنك عائدة للتو ؟

وغمرتها أحاسيس الراحة .. هاهى أعذار مقنعة ساقها «مايكل» بنفسه .. والتقطت الخيط .. وقالت :

– لدى ميعاد فى وقت متأخر .. فإننى لا أعتقد أن وجودى هنا سيستمر طويلاً .

– أفترض أنه رئيسك فى العمل من جديد .. ما اسمه ؟ «جيمس» لدى أمل أن يكون صبوراً . فقد نستغرق معاً وقتاً طويلاً إلى حد ما .

وتمادت فى كذبها .. وقد أعجبتها غيرة « مايكل » .

– إنه يمكنه الانتظار .

وقال وهو يتفرسها بعينيه النهمتين .. اللتين جالتا على جسدها الفائر الأنوثة .

– إننى أجرؤ لأؤكد أن جسماً مثل جسمك يستحق أن ينتظره الرجل بصبر .. فمما أراه .. أعتقد أنه أفضل مما كنت أذكره :

وجفلت ثم قالت بتردد :

– إننى أكثر من مجرد جسد يا « مايكل روبرت » .. فلدى عقل وأحاسيس .

www.elromancia.com

وضحك فى سخرية .

– يجب أن أعتذر .. إن من الصعب التفكير فى ذلك عند رؤية مثل هذا الفستان .

وقالت فى حزم محاولة التماسك :

– عظيم . إذن اجلسى يا « ليزا » .

ثم فى سماجة سألها :

– أتذكرين يا « ليزا » ؟

– أذكر ماذا ؟

وغمز بعينيه وأردف :

– الأشياء التى نشاركها معاً .. وما حدث ذات ليلة .

وصرخت :

– توقف .

وبحدة استطردت :

– إننى لم آت إلى هنا لمناقشة حماقاتى وسلوكى فى الماضى معك لقد جئت من أجل .. من أجل مناقشة ما يختص بـ « دافيد » ولا شىء آخر .

ونهض ودار حول المكتب .. وسار فى اتجاه « ليزا » .. وانتفضت وتضرعت لله بألا يلمسها .

واتجه نحو مائدة عليها زجاجات المياه الغازية وتناول إحداها .. ثم قال لـ « ليزا » :

– إننى آسف لسلوكى معك .. ولكننى أعتقد أن الحبيبة التى عرفتها فى الماضى قد أصبحت تواعد واحداً وراء الآخر .

وبحنق صرخت فيه :

– توقف عن ذلك . ولاتنس أنه أنت الذى حددت ميعادك معى .. وأنت الذى طلبت حضورى .

وابتسم فى برود :

– إن كل شىء يكون عادلاً فى الحب .. وفى الحرب .

وتنهد بحرقة وعاد يجلس إلى مكتبه . وشعرت « ليزا » بالرثاء له . لقد بدا شاحباً للغاية .

وقال فى أسى :

– كيف أمكنك المخاطرة هكذا فى الماضى ؟ لقد ظننت أن كل شىء بأمان .

وأدركت « ليزا » أن ما توقعت أن يحدث قد حدث .. وها هو ذا يعاقبها لمسئولية حملها لـ « دافيد » .. وتذكرت أنها فقدت السيطرة على نفسها .. إنها لم تستطع السير على الطريق المستقيم . كل ما استطاعت إدراكه أن « مايكل » يحبها . و « مايكل » يتملكها . و « مايكل » . و « مايكل » .

www.elromancia.com

وقالت فجأة :

– لقد كنت حمقاء .

وأغمضت عينيها تخفى تعاستها .

ولمس خدها لمسة رقيقة حانية .. ففتحت عينيها عن آخرهما دهشة وفوجئت أن « مايكل » واقف أمامها .كيف أمكنه أن يسير بنعومة دون أن يحدث جلبة أو تشعر به ؟ .. وحملقت إليه .. كانت تعبيرات وجهه تنم عن رقة متناهية .. وبحنان همس :

– لا .. لا حماقة .. فقط امرأة تحب .

وصرخت :

– حب ؟ ماذا يا « مايكل » لا لم يكن حباً . مجرد اشتهاء . لا عواطف . لا أحاسيس .

وتأثر بشدة لكذبها. وهتف فى كبرياء جريحة :

– وهل أنت تشتهين رئيسك هذا ؟

ومن جديد كانت تكذب .

– ربما واقعة فى حبه .

كل ما كانت ترغبه أن تجعله يشعر بآلامها فى الماضى وأن تعذبه بشدة .

وزمجر :

– لا .. ليست هذه هى الحقيقة .. أتعلمين لماذا ؟ إن روحك مليئة بالعذاب الناتج عن الحب .. وصدرك ملىء بالكراهية .

وأمسكها بقوة .. ومست شفتاه شفتيها فى عطش وجوع .

وجفلت وتساءلت فى نفسها : لماذا لا أبعده عنى ؟ لماذا لا أدفعه بعيداً ؟ لماذا أستسلم له ؟

وهمس :

– إنك ترتجفين يا « ليزا » .. هل ترتجفين أيضاً مع «جيمس» .. أم أن تلك الرجفة معى وحدى ؟

وارتعشت شفتاها.. وفتحت فمها.. وأرادت أن تقول .. فقط لك وحدك .. لك وحدك .. ولكن شيئاً ما حبس صوتها .

واستسلمت .

وفجأة.. فتح باب المكتبة .

وانتفضت.

ولاح وجه شاب فى العشرين من عمره .

– يا سيد « روبرت » .. لقد طرقت الباب . ولكن ..

وصمت فجأة .. وأردف فى هلع :

– أووه .. أووه .. أووه .. آسف . آسف كل الأسف يا سيد «روبرت» .

وشعرت « ليزا » بخجل الدنيا كله.. من تطفل هذا الغريب .

www.elromancia.com

ونظر إليه ، مايكل ، فى غيظ . وصرخ فى وجهه فى غضب محموم .

- اخرج .. اخرج فوراً .

وأردف :

- وأغلق خلفك هذا الباب الدموى .. أغلقه فوراً .

* * *

الفصل السابع

وانغلق الباب بدوى مرعب .

ورفعت «ليزا» رأسها تحملق فى «مايكل» .. كان الامتعاض بادياً على وجهه .. وتمتم :

- يا الله .

وأحسّت «ليزا» بالخزى عندما تخيلت الصورة التى كانا عليها وأعطياها لذلك المتطفل .

واحمرّت وجنتاها . وهمت بالنهوض . ولكن يدى «مايكل» القويتين استبقتاها بين ذراعيه .

وأحست بالغضب فدفعته بعيداً .

وصرخ فيها :

- يا للعنة .. يا «ليزا» تجاهلى ماحدث . إنه لن يعود . إنه لن يجرؤ .

وارتجفت ، فقدتخيلت أن الشخص الغريب ما زال واقفاً خارج الباب يسترق السمع إليهما . ويبتسم فى سخرية واستخفاف .

وجزت على أسنانها وقالت حانقة :

www.elromancia.com

– لقدقلت لا .. لا .

وران الصمت بينهما .. ثم ابتسم ، مايكل ، فى استخفاف .. وقال :

– ها هى ذى السيدة تغير رأيها .

وغزت كلماته كبرياءها وقالت ببطء :

– لا تحص دجاجاتك يا ، مايكل ، .. إنك لا تتعامل مع نفس الفتاة الغرة التى عرفتها فى الماضى منذ تسعة أعوام .

ولوى شفتيه :

– إن هذا واضح جداً ياعزيزتى .. فلو كنت أتنكر بصورة صحيحة فإننا عرفنا بعضنا لمدة عشرة أيام .. أليس كذلك ؟ قبل أن نصبح حبيبين ، ومع استجابتك الليلة ، أعتقد أننا سنكون أسرع تلك اللحظة ألست معى ؟

وآلمتها كلماته .. فقد كانت كالخنجر الذى انغرز نصله فى قلبها وأرادت أن تكيل له بالمثل فقالت بحدة قاصدة إيلامه أكثر :

– لقد نسيت شيئاً صغيراً يا ، مايكل ، .. إننى لدى حبيب نعم حبيب وهو ينتظرنى الآن وبالتأكيد لست أحتاج إليك .

ورمقها بعينين قاسيتين وأشاحت بوجهها بعيداً عنه :

– لا يجب أن تذهبى لهذا الرجل الليلة ، هل سمعتنى ؟ أو فى أية ليلة أخرى .. إننى أمنعك !

وضحكت فى هستيرية :

– أنت تمنعنى ؟ تمنعنى ؟ وما صفتك يا ، مايكل روبرت ، ؟

وابتسم .

وجفلت .. لم تر فى حياتها ابتسامة سمجة وكريهة مثل ابتسامته تلك .

وقال أخيراً :

– سأخبرك من أنا يا ، ليزا ستون ، إننى والد ابنك . أنا كذلك رجل غنى . قوى . وذو نفوذ . وفى ظل كل تلك الظروف .. فإننى أريد ابنى .. نعم .. أريده .. وبكل غرابة أريدك أيضاً حتى لو لم تكونى نفس تلك الفتاة التى وقعت فى غرامها من قبل ، فهذا لايهم . فأنت امرأة مرغوبة . امرأة قررت أن أتملكها . أو بمعنى أصدق أعيد امتلاكها . ولا يهمنى رد فعلك طالما آخذ منك ما أريده .

– ومالذى تريده ؟

– أشياء عديدة .

– وماهى ؟

– من ضمنها ابنى كبداية وليس بعض الوقت أو مجرد جيرة بل أريده هنا فى منزلى طوال الوقت .

– ولكننى لا أريد .

– باللعنة .. لاأهتم بما تريدين .

وارتجفت ، ليزا ، لشدة ثورته ، لابد أن تخفف عنه وألا تجعل الأمور تتحول من السيئ إلى الأسوأ .

واستطرد يقول :

– لا يهمنى ماذا تعتقدين عن شخصيتى وسلوكى ، لم يكن من الواجب عليك أن تخفى حقيقة وجود ابنى ..ربما كانت هناك الأسباب الخاصة مدة تسعة أعوام ، ولكن بالأمس عندما أخبرتك بوفاة زوجتى وعندما أوضحت لك مدى اهتمامى بك ، كان من الأجدر أن تخبرينى بالحقيقة ، كان هذا سيكون أفضل شىء يحدث .

– ولكن .. ، مايكل ، إننى ..

– يكفى هذا.. لم تستمعى إلى كلماتى.. إننى لم أعد أهتم بك .

وتلعثمت :

– إننى .. إننى .. لم تسنح لى الفرصة لإخبارك . ولا تدرك مدى المعاناة التى تحملتها وحدى طوال الأعوام التسعة الماضية . وقد كر ..

وصمتت فى ارتباك .

وأكمل لها ،مايكل ، كلماتها :

– وقد كرهتنى على ذلك .. عموماً.. فإن هذا لا يهم فسواء أحببتنى أو كرهتنى فإنك ستتزوجيننى .

وصعقت .

– ماذا ؟ أتزوجك ؟

وابتسم فى جفاء :

– إننى أرى أن عرض زواجى لك قد أصابك بصدمة .. على أية حال فسوف أترك لك وقتاً للتفكير .

وابتلعت لعابها .

– كم من الوقت ؟

– أربعاً وعشرين ساعة .

– ماذا ؟

– نعم .. عندما تأتين غداً لاصطحاب ، دافيد، يمكنك إخبارى بإجابتك .

واعتدل فى مقعده وقال فى غطرسة :

– بالتأكيد سوف أشرح ماذا سيحدث لو رفضت .

ولم تعلق .. كانت فى غاية الارتباك .

واستطرد يقول :

– بالتأكيد .. فإن ، دافيد ، ابنى . مجرد اختبار الدم سوف يثبت لى الحقيقة ويعطينى الحق لأفعل ما أريده .

وسوف تعضدنى المحاكم وستكون عادلة معى .

وصرخت ، ليزا ، وهى تنتحب :

– إنك لا تريدنى الاحتفاظ بابنى وتريد أن تسلبنى إياه .

وقال بعمق :

– فقط لو أخبرتنى يا ، ليزا ، .

www.elromancia.com

وأجهشت بالبكاء .. وقالت من بين شهقاتها :

– إنك قاس يا « مايكل روبرت » ، لا توجد أية رحمة فى قلبك وسوف يكرهك « دافيد » ، كما أكرهك أنا وبشدة .

وشحب وجه « مايكل » ، كالموتى .. وحاول التماسك ونهض ببطء من مقعده .

وحملقت إليه وصرخت :

– سوف أحاربك يا « مايكل » ، ولن تكسب المعركة أبداً .

وصمت برهة ثم اقترب منها ونظر فى عينيها وهمس :

– سآخذ بنصيحتك يا « ليزا » ، فهذا ما لا أرغبه أبداً .. إننى أريد أن يحبنى « دافيد» .

وغمرت الراحة صدر « ليزا » ، وتنهدت وقالت بصوت خفيض :

– إننى .. إننى لا أظن من الحكمة أن تخبره بأنك والده .

واتسعت عيناه بشكل مخيف :

– ولكن لماذا ؟ هل هو يعتقد أننى توفيت ؟

– لا .

– حسناً .. ما الذى أخبرته به إذن ؟

– لقد أخبرته بأنك مسافر فى رحلة طويلة إلى مكان بعيد ولا يمكنك زيارته الآن .

– وهل تقبل ذلك ؟

وقطبت جبينها :

– إن « دافيد » ما زال فى الثامنة من عمره . ربما فى وقت لاحق سوف يطالب بمعرفة الكثير .

– لماذا تعارضين فى إخباره بحقيقة أننى والده ؟

– لا يمكن فى تلك المدينة يا « مايكل » ، فالناس لا ترحم بكلماتها وعقولهم ضيقة وسوف يؤذى ذلك « دافيد » .

– وأنت؟ هل سيصيبك الأذى أيضاً ؟

– سأعانى .

وبتضرع :

– ألن تخبره ؟

وأعترف أخيراً .

– لن يمكننى أن أعدك .. لا وعود يا « ليزا » .

وصرخت :

– عليك اللعنة يا « مايكل » . ألم تستوعب ما قلته لك ؟

– إننى لا أعيش حياتى وفقاً لآراء الآخرين .

وسألته تحاول باستماتة تغيير الموضوع :

– وماذا عن الغد يا « مايكل » ؟ أما زلت مصمماً على اصطحاب « دافيد» ؟

– نعم .

– ولن تقود بسرعة ؟

– لا بالتأكيد .

– وسوف يكون فى أمان عند ركوبه الهليوكوبتر ؟

– آه يا ربى «ليزا» .

واستطرد ثائراً :

– إنه ابنى أيضاً يا « ليزا » ، إننى لا أحلم بوضعه فى مخاطر .

وصدقته « ليزا » .. فيبدو أن « مايكل » يهتم فعلاً بالصبى وقالت :

– إننى .. إننى سأخبره بأن ينتظرك عند محطة الأتوبيس خارج المدرسة .هل تعرف أين تقع مدرسة « ريفر ستيد » الابتدائية ؟

– سوف أجدها .

– إنها بالقرب من الشارع الجانبى الـ ..

– لقد أخبرتك أننى سأجدها يا « ليزا » . لقد درت حول العالم بنجاح مرات عديدة. لا أحتاج إلى أى شخص ليأخذ بيدى ، فقط عليك بالتأكيد أن تأتى شخصياً لأخذ «دافيد» ومعك الإجابة جاهزة .

– الإجابة ؟ هل تعنى أنك ما زلت تعتقد .. وتتوقع ؟

وقال وتعبيرات وجهه سالبة جداً :

– إن عرضى ما زال قائماً يا « ليزا » .

– وماذا لو رفضت ؟

– لا أعتقد أنك ستفعلين طالما قد أدركت بنود الموقف كله .

وصرخت « ليزا » :

– ولكننى لا أرغب فى الزواج بك .. لن يحدث هذا .

وبصبر قال :

– كونى واقعية يا « ليزا » .. إننى سأخبر « دافيد» بأننى والده سواء الآن أو فيما بعد .

– لماذا .. لماذا تفعل هذا يا « مايكل » ؟

– من أجل مصلحة « دافيد» .. لقد توقعت أن تفعلى المثل . لوكنت حقاً تحبينه .

وأسقط فى يدها .. إنه قوى .. وقاس .. وذكى جداً .

وأغمضت عينيها .

– « ليزا » ، إننى لا أريد أن أسبب لك الألم .. لم أرغب أبداً أن أسبب لك الألم .. ولكننى سأحصل على ولدى ولاداعى للأخطاء .

وتنهدت .. وبحزن همست :

– حسناً .

وأمسك بكتفيها ومال عليها .

– ماذا تعنين ؟

وبانكسار قالت :

– لك ما تريد .. لا داعى لأن تنتظر للغد الإجابة عن سؤالك .

وسألها بنغمة صوت تشبه الصدمة :

– هل تعنين أنك توافقين على الزواج بى ؟

وقالت وهى يحفها التعب .. كل التعب :

– نعم .

– حتى لوكنت تكرهيننى ؟

وأحست بالألم العميق وقالت :

– وهل هذا يهم ؟ لقد قلت بنفسك فى البداية إننى يجب على أن أفعل ما يجب أن أفعله .. فبمجرد أن تخبر « دافيد» أنك والده سوف يتساءل لماذا لا يعيش حياة طبيعية مثل الأطفال الآخرين ؟

وصمتت ثم استطردت :

– وماذا سيكون ردى عليه ؟ وهكذا ترى يا « مايكل » لا داعى لأية تهديدات أكثر من ذلك لقد كسبت أنت يا « مايكل » .

وسألها :

– وماذا عنا؟

– ماذا ؟ ماذا عنا ؟

وصرخ:

– يا للعنة .. لاتكررى كلماتى يا « ليزا » .. إنك تعلمين ما أقصده .. إنه ليس الصبى فقط الذى أريده وأردف :

– إننى أريدك أنت .. جسمك .. وروحك .. كل شىء يا « ليزا» إنك ملكى .. نعم ملكى .

وصرخت :

– أبداً .

وصعق وتركها واتجه إلى النافذة يحملق خلالها إلى الفضاء .

وعندما استدار يواجهها . كان أسى الدنيا كلها على محياه .. كل الألم فى تعبيرات وجهه .

وصرخ فيها :

– حسناً .. ماذا تنتظرين ؟ اخرجى ..اذهبى إلى حبيبك .. إننى لا أهتم .. ولكن افهمى ذلك يا « ليزا » .. لا زوجة لى سأتركها بين ذراعى رجل آخر . لذلك اجعلى هذا واضحاً لرئيسك الخالى .. أخبريه أن علاقتك به قد انتهت .

وقطب جبينه بشدة وأردف :

– ولو اكتشفت أن هناك ذلك الاختلاف .

وأحست « ليزا » بجفاف حلقها. وابتلعت لعابها بصعوبة وشعرت بالخوف والرعب وسألته فى تردد :

– وماذا .. ماذا عن « دافيد» ؟ هل ما زلت ترغب فى أن أصطحبه غداً من « ستراث هافن » ؟يمكننى الحضور بعد العمل حوالى الخامسة .

وقال فى ألم :

– افعلى ما يحلو لك .. فقط اغربى عن وجهى .

تفحصته ، ليزا ، .. كان جسداً يتألم بشدة وشعرت بالرثاء والعطف والشفقة،وودت أن تهرع إليه وأن تحتويه بين ذراعيها وأن تؤكد له أنه لا يوجد أى حبيب ينتظرها .. وأنها كذبت عليه ،ولكن قبل أن تستطيع التحرك . استدار يواجهها من جديد ، ووجهه أشد ألماً عما قبل .

وارتعشت شفتاه وهتف :

– أما زلت هنا؟ ماهى المشكلة؟ ألن ينتظرك العزيز ، جيمس ، أكثر من ذلك ؟

ولاحت ابتسامة غريبة على وجهه وقال :

– ربما أنك غيرت رأيك .. أليس كذلك ؟ فأنت تريدينني أن أقدم لجسدك ذلك الانطلاق المؤقت الذى تحدثت عنه .

وتراجعت ، ليزا ، وعيناها متسعتان عن آخرهما.. وعندما اتخذ خطوة إليها ، جفلت وأسرعت تلتقط معطفها وتجرى بعيداً عنه بسرعة الصاروخ . بينما تتعالى ضحكات ، مايكل ، ويصل صداها إلى أذنيها .

* * *

الفصل الثامن

قضت ، ليزا ، يوم الاثنين فى هول ورعب . وفى الظاهر كانت تتصرف بآلية .. تذهب إلى العمل . . تجيب رنين التليفونات .

تبتسم وتتحدث كأنما لايوجد أى شىء مختلف ، ولكن فى الباطن .

فى أعمق أعماقها كانت فى خوف ورعب ، كيف أمكنها أن توافق على الزواج من ، مايكل ، ؟ ما الحماقة التى دفعتها إلى ذلك ؟

ما الذى تملكها فى الواقع؟

وكان ،جيمس، قوى الملاحظة يلاحقها بنظراته المستفسرة وأخيراً سألها عما إذا كان هناك شىء خطأ ؟ ولكنها اعتذرت بأنها لم تذق النوم .. وصدقها على مضض .

وكانت والدتها قلقة جداً ولاتخفى فضولها فى أثناء تناول الفطور كانت تتلهف على معرفة ما الذى حدث بينها وبين ، مايكل ، ولم تكن ، ليزا ، ترغب إطلاقاً فى إطلاعها على كافة التفاصيل التى حدثت بينهما. وكان حضور ، دافيد ، لتناول الفطور معهما كفيلاً بأن يجعلها تلوذ بالصمت تماماً ، ولا تذكر أى شىء عن والده .

عموماً فإن « ليزا » قد صرحت لوالدتها بأن « مايكل » قد عرض عليها الزواج ولم تذكر أنها وافقت بحماقة . فقد جعلت والدتها تعتقد أن الموضوع ما زال سيستغرق وقتاً طويلاً لأخذ القرار فيه .

وبدت الدهشة على ملامح « ليندا » .. ثم أضيء وجهها بالسعادة وعبرت عن ابتهاجها بأنها كانت واثقة بأن هذا سيكون الأفضل وتمتمت :

– أظن أنه لم يكف عن حبك أبداً ، إذن لماذا طلب أن يتزوجك ؟ إن الرجال فى تلك الأيام لايتزوجون فقط لمجرد الحصول على أطفال .

ولم تكن « ليزا» مستعدة لمجادلة والدتها ، فإن « دافيد» بلاشك كان الدافع الأول لطلب « مايكل » الزواج منها . والذى يرعبها أن «مايكل » ينتظر موافقتها هذا المساء .

ومع نهاية اليوم قفزت « ليزا» فى سيارتها . معرجة على منزل « مايكل » لتصطحب « دافيد » . ولكن فجأة استدارت بالسيارة عائدة إلى منزلها بصورة أوتوماتيكية بدلاً من الذهاب إلى «ستراث هافن» . وسرعان ما أدركت الخطأ . ولكنها واصلت طريقها ، مؤكدة لنفسها أن هذا هو الأفضل لها ،فإنها لن تستطيع مواجهة «مايكل » وهى بمظهرها هذا .

وعندما وصلت للمنزل القديم كادت تهم أن تقفز خارج السيارة، ولكنها فجأة توقفت ، لماذا يجب عليها أن تدخل المنزل وتستبدل

ملابسها ، فالواجب أن يراها « مايكل » بملابس العمل اليومية ، البالطو الأبيض ، لا زينة ، الشعر مرفوع لأعلى ، فربما يغير رأيه بالنسبة للزواج منها عندما يراها أقل جاذبية .

وأدارت محرك السيارة ، وسارت بها .. ولكنها أوقفتها عند اصطبل الفرس . وهبطت متجهة إلى « شيرى » الفرس المحببة إليها .. وداعبتها وتمنت لها حظاً سعيداً .

وسارت بالسيارة من جديد .. إن « دافيد » لاشك يراقب حضورها من بعيد وهى قادمة فى بداية الكوبري وبالفعل فوجئت به أمامها وهتف :

– أوه .. ماما .. لقد تأخرت كثيراً .. لقد قلق عليك «مايكل » وكان على وشك أن يحادث جدتى تليفونياً ولكننى منعته قائلاً : ربما أن هناك بعض الطوارئ مع بقرة .. أو شيء ما .

وابتسمت « ليزا » لابنها الذكى وهو يتقدمها ويقفز فى مرح وسرور وحدثت نفسها .. إن سعادته تستحق منها تلك التضحية . ولكنها قطبت جبينها ولكنه بالتأكيد سوف يكون سعيداً بدون اضطرار والدته للموافقة على هذا الزواج الفظيع .

وعاد يصرخ فى حبور :

– وخمنى ماذا ؟ لقد ركبت الهليوكوبتر ثلاث مرات ولكن كل ذلك انتهى بسرعة . فقد أرسلها « مايكل » إلى « سيدنى » .

وكانت « ليزا » واثقة بأن « مايكل » فى البلكون يرقبهما وخفق قلبها .

وقالت وهى تحاول أن يكون صوتها طبيعياً لتخفى ارتباكها :

– ولكن ما الذى أعجبك أكثر ؟ السيارة أم الطائرة ؟

وقال « دافيد » :

– إن السيارة عظيمة ولكن الهليوكوبتر سوبر .

ورمقت « ليزا » هبوط « مايكل » من أعلى السلالم واتجاهه نحوهما . كان يرتدى البنطلون الجينز والتى شيرت وكان مظهره رائعاً كما أحبته من قبل ، وتذكرت لمساتها القديمة على صدره ، وكم كانت تعشق ذلك فى الماضى .

وانحنت بطريقة طبيعية ومالت إلى « دافيد » :

– هل أنت مستعد للعودة إلى المنزل ؟ولكنها أدركت مدى حماقتها ، فإن « مايكل » لن يتركها تعود بتلك السهولة .

وجاءها صوت « مايكل » :

– إن السيدة « دوللى » تعد لنا أقداح القهوة ويمكننا تناولها فى الفراندة ، بينما يلهو « دافيد » مع « هركليز » .

وسمع الكلب الضخم اسمه فأسرع إلى سيده يهز ذيله . وارتبكت « ليزا » :

– هل تعتقد أنه .

ولكن اعتراضها اختفى عند رؤيتها ابنها يداعب « هركليز » . بينما هذا الحيوان الضخم يميل إليه فى ألفة ومودة ، ويلثمه بلسانه .. ويبتعدان معاً فى سعادة ليلعبا فى الحديقة .

وقال « مايكل » يشجعها فى نعومة ورقة :

– لا تنزعجى .. لأن « هركليز » بمجرد أن يتعارف على صديق يكون مستعداً بأن يفديه بروحه وإخلاصه مدى حياته .

ولم تستطع « ليزا » أن تستوعب بدهشة الحالة السعيدة لمزاج « مايكل » . فأين الشيطان الساخر بالأمس ؟ وسألته :

– هل .. هل تحتفظ بالكلب منذ وقت طويل ؟

– خمس سنوات .. منذ، كان جروا .

– إنه حيوان جميل .

قالت ذلك .. وظلت ترمق الكلب من بعيد .

وفكرت أن هذا آمن من النظر إلى « مايكل » .

– إنه كلب سلينا .

وخفق قلبها :

– سلينا ؟

ونظر فى عينيها وقال :

– زوجتى .

– أوه .

ولفها الضيق والألم .. إنها لا تريد أن تسمع أى شيء عن زوجة « مايكل » . إنها لن تتحمل أبداً أنه كان ينتمى لامرأة أخرى طوال فترة علاقتهما معاً .

تلك المرأة التى عاد إليها ليعيش معها . على الرغم من حديثه عن الانفصال والطلاق .

وقطع حديثهما وصول السيدة « دوللى » . وكانت سيدة فى الخمسينيات من عمرها . ووضعت أقداح القهوة أمامهما .. وانصرفت فى هدوء . وهى ترمق « ليزا » بابتسامة .

وتمنت « ليزا » لو اهتمت بمظهرها قليلاً .. ووضعت قليلاً من الزينة قبل قدومها إلى « ستراث هافن » .

وسألها « مايكل » :

– سكر ؟

– نعم .. من فضلك .

ورمقت « ليزا » السيدة « دوللى » وهى تنصرف وقالت :

– إنها سيدة رقيقة .

– نعم .. فعلاً .

واستطرد :

– لقد كانت مديرة منزلى منذ وفاة « سلينا » ولم أتصور ..

وصرخت فيه « ليزا » :

– هلا كففت عن الإشارة إلى زواجك الأول ؟

وبتلعثم تمتم :

– « ليزا » .. إننى أردت أن أشرح . بالنسبة .. لـ « سلينا » ..

وقاطعته فى ثورة :

– ولكننى لا أريد أن أستمع لذلك . لا أريد أبداً أن أسمع عنها أى شيء .. أى شيء .. لو كنت ترغب حقاً فى الزواج بى .

– عظيم .

ونهض ودلف للداخل .. ثم عاد ومعه بعض الأوراق وأبعد أقداح القهوة .. ووضع الأوراق أمام « ليزا » .. وبهدوء وأدب قال :

– يجب أن توقعى هنا .

ثم وضع بعض الأوراق الأخرى أمامها وأشار إليها :

– وهذا .. إن الأخيرة تفويض لى لأخذ صورة من شهادة ميلادك .. إن الزواج المسجل يحتاج إلى بعض الأوراق الرسمية . ورخصة خاصة تتطلب أكثر من ذلك .

وجفلت .. لم تدرك أن كل شيء سيكون سريعاً هكذا .

وسمعته يقول :

www.elromancia.com

– سنتزوج يوم الأحد .. هنا فى الحديقة .. سأطير محتفلاً من «سيدنى» .. لن يكون هناك مدعوون غير أسرتك .. أسرتى لن تحضر .. كلهم يعيشون فى «بيرث» من الصعب أن يحضروا .

وارتجفت «ليزا» ولكنه استطرد :

– إن السيدة «دوللى» ستقلق بالنسبة لوضعها هنا بمجرد أن أخبرها بزواجنا .. هل يجب أن أخبرها بأن تظل مكانها معنا ؟ أم أنك تفضلين إدارة المنزل بنفسك ؟ إن هذا كله متوقف عليك . وبالنسبة لى فإننى أحبذ فكرة احتفاظك بالموظفين فهم مخلصون جداً ومتفانون فى عملهم . وبالإضافة إلى السيدة «دوللى» فإننى أستخدم اثنين للنظافة والحديقة .

وتسمرت «ليزا» فى جلستها :

– ماذا ؟ مديرة منزل ؟ موظفون ؟

وفجأة آلمها حقيقة أى نوع من الزواج سيكون مع هذا الرجل . إنها لم تضع فى اعتبارها أبداً حياته العملية كرجل أعمال ناجح يعيش حياة اجتماعية متكاملة . إن زوجته من المتوقع أن تلعب دور المضيفة ، ومع مظهرها هذا اليوم أمام مديرة منزله ، جعل من السخرية أن تكون يوماً ما ربة هذا المنزل .

وبتلعثم قالت :

– «مايكل» .. هل أنت واثق أنك ما زلت تحبذ هذا الزواج ؟

وقطب جبينه :

– إننى أعتقد أن هذا الموضوع قد تمت تسويته .

– نعم .. حسناً .. إننى أقصد ...

وقالت وصوتها مضطرب النغمات :

– انظر يا «مايكل» .. إن الوقت مبكر جداً لإخبار «دافيد» بأنك والده ؟ أعطه وقتاً ليستعد لهذا الخبر .

ورمقها بنظرة حادة :

– لقد اعتقدت أن الأمر قد تم حسمه بالأمس يا «ليزا» .. لقد وافقت على الزواج بى .

– ولكن يا «مايكل» إننى .. إننى .. مجرد طبيبة بيطرية عادية تعيش فى الريف ، ولم أعتد الحياة الاجتماعية الصاخبة وإقامة حفلات العشاء . ولا أظن أننى سوف أتخلى عن وظيفتى لأقوم بدور الفراشة الاجتماعية لو تزوجتك .

وقل مصححاً :

– عدما تتزوجيننى . وليس لو تزوجتنى يا عزيزتى .

وأردف وهو يرمقها بنظرة حانية :

– لا أهتم لو كنت تودين أن تعملى بعد زواجنا . كونى واقعية . لقد اشتريت هذا المنزل لأعيش حياة هادئة . ربما أطير إلى «سيدنى»

لمباشرة بعض الأعمال . وبلا شك أننى سأدعو من حين لآخر بعض الأصدقاء فى عطلة نهاية الأسبوع . ولكن أكثر من ذلك فإننى أريد أن أكون رب عائلة بسيطاً . عموماً هل تودين العمل بعد أن تحملى ؟

– حمل ؟

– إننى أريد أن نحصل على أطفال أكثر يا « ليزا » ويجب أن تدركى أن « دافيد » يستحق أخاً أو أختاً فأنت التى قلت إنك تريدينه أن يعيش حياة عائلية طبيعية .

وزمجرت فى حنق :

– إن هذا كله ما زال مبكراً بالنسبة إلى .. أرجوك يا « مايكل » أعطنى وقتاً أطول .

وبدت ملامحه جامدة :

– وقت أطول لماذا ؟ للهروب ؟ لإيلامى أكثر ؟ لقد أخفيت عنى لمدة ثمانية أعوام حقيقة ابنى . ليس لدى أية نية بالمخاطرة من جديد .

وأكدت له يائسة :

– إننى لن أهرب . ولكن لا تتوقع منى أن أتزوجك ولن أحمل مرة أخرى . إن لدى مسئوليات أخرى . والتزامات أخرى .

– مثل ماذا ؟

– والدتى .

وقاطعها :

– إن والدتك ستتزوج فى خلال أسبوع . وستزف إلى « جيمس » العزيز . وليس إلى أحد آخر .

وفغرت « ليزا » فاها .

وقال « مايكل » مفسراً :

– إن « دافيد » ثرثار جداً . لقد قص علىّ كل شىء عن جدته ورئيسك . وبما أننى لا أصدق أنك يمكنك منافسة والدتك للزواج من نفس الرجل . فإننى أدرك تماماً أنك قد كذبت علىّ . الليلة الماضية . لماذا يا « ليزا » ؟ لماذا أردت أن تجعلينى أعتقد أن رئيسك هو حبيبك ؟ .

وأشاحت بوجهها بعيداً عنه . ولم تعلق . وقال والسعادة تضىء وجهه :

– إن الفستان الأحمر بالأمس كان من أجلى وحدى .

وقالت متلعثمة مرتبكة :

– بـ .. بالتأكيد .

وقال بحنو :

– أحبك يا « ليزا » وأريد الزواج منك .

وشعرت بالضعف .. وسمعته يقول فى حنان :

– وقعى يا « ليزا » الأوراق .

www.elromancia.com

وجفلت .. إن مجرد توقيعها لتلك الأوراق يعنى أنها توقع لحياتها كلها . وتضع سعادتها المستقبلة بين يدى « مايكل » أكثر من مجرد مرة .. وترددت وخفق قلبها بعنف .. وانتابها صداع شديد .

– وقعى .

وحملقت إلى وجهه من جديد .. وأدركت أنه لا جدوى من الاستئناف معه من جديد .. وجفلت .. وأسقط فى يدها .. وغامت أمام عينيها رغباتها السوداء كأى شىء آخر .

ووقعت .

وسقط القلم من يدها المرتعشة على المائدة ونهض « مايكل » ليجمع الأوراق . وقال بنغمة هادئة رقيقة .

– تناولى قهوتك .. إنك شاحبة .

وارتعش الفنجان بين أصابعها .

وكانت القهوة ساخنة جداً .. ولكن « ليزا » لم تلحظ ذلك وسط شرودها .. وتناولتها مرة واحدة بطريقة روتينية .. وثارت أحاسيسها الجياشة تستنكر ما فعلته . وقال يشجعها :

– لن تندمى يا « ليزا » على هذا أبداً .

وحملقت إليه .. تنظر وكأنها تنظر إلى شخص غريب .

* * *

الفصل التاسع

– حبيبتى .. إنك تبدين رائعة .

ورمقت « ليزا » والدتها بابتسامة .. واختلست نظرة إلى المرآة . كانت مرتدية ثوب الزفاف المطرز والمغطى بالدانتيل على كميه وأطرافه .

وأخذت « ليزا » نفساً عميقاً تحاول أن تهدئ من اضطرابها .. بلا جدوى .. فاليوم هو يوم زفافها .. والليلة هى ليلة زواجها .

وقالت والدتها :

– لا يمكننى التعبير عن مدى سعادتى لذلك الزواج .. إنه معجزة لن يمكننى نسيان تلك النظرة التى بدت فى عينى « دافيد » عندما أخبره « مايكل » بأنه والده .

ولم تكن « ليزا » تعبأ بذلك .. فـ « مايكل » كان يأتيها يومياً لاصطحاب « دافيد » من المدرسة وكان يحتفظ بصحبته حتى تعود « ليزا » من عملها .

وقد غمره والده بالهدايا الرائعة ليعوض ثمانية أعوام من عمره لم يره فيها . وكأنه يعتذر لابنه عن ابتعاده عنه وبصفة عامة أمام الناس كان « مايكل » يتصرف كخطيب محب .. يحتوى كفها بين

يديه ويبتسم فى حنان .. وعندما يكونان بمفردهما يلتزم الصوت .. والصمت العميق .

وتعالى صوت « جيمس » من الردهة :

– أوه .. هيا إن الحفل سيبدأ .. والمدعوون ينتظرون .

وابتسمت « ليزا » وسارت بجوار والدتها و « جيمس » اللذين كانا يرمقانها بنظرات متطلعة . وكانت سيارة «جيمس» « الفاجن » تنتظرهم وبدت رائعة مزدانة بالشرائط والديكورات الجميلة . وكادت « ليزا » تبكى عندما شاهدت الدمية الجميلة المرتدية ملابس الزفاف فى ركن السيارة . إنها رمز لأجمل شىء فى الزواج .. كل ما فقدته.

وكان « دافيد » فى السيارة يقفز ويصرخ فى مقعده :

– تعالى يا ماما .. لا نريد أن نتأخر .

وقالت جدته بينما الجميع يركبون السيارة :

– إن العرائس من المفترض أن تتأخرن دائماً . لماذا ؟

وضحك « جيمس » :

– لكى تعطى الفرصة للعريس المسكين لينسى ما الذى سوف يفعله .

وزمجرت « ليندا » :

– جيمس .

وصمت « جيمس » .

وأحست « ليزا » بتقلصات فى معدتها .

– متى ستعودين من « سيدنى » يا ماما ؟

وبحنان قالت :

– يوم الجمعة .. ولا تنس أن جدتك سوف تتزوج يوم السبت التالى .

– أتعنين أنه يجب أن أرتدى تلك الملابس الفظيعة من جديد ؟!

– أعتقد هذا .

وسرحت بخيالها .. ففى خلال ساعات سيكون زواجها من «مايكل» نهائياً .. وأحسّت بالانزعاج .. تسعة أعوام . هل سيكون كل شىء كما كانت تتذكر ؟ هل نقص الحب سيجعل الأمر مختلفاً ؟

وصرخ « دافيد » :

– ها قد وصلنا .

وعادت « ليزا » لأرض الواقع وجفلت .

واستطرد :

– انظرى .. ها هو بابا قادم .. إنه رائع أليس كذلك ؟

– بلى .. بلى .

وكان مرتدياً حلة رمادية اللون وقميصاً حريرياً أبيض ، ورباط عنق من اللون الأحمر ومنديلاً من نفس اللون .. وكان شعره مصففاً لأعلى ، معطياً انكشافاً رائعاً لوجهه وملامحه الوسيمة .

www.elromancia.com

ولكن لم تكن السعادة بادية فى عينيه .. وبدا مرهقاً مضطرباً وهو يتجه نحوهم إلى السيارة .

وابتلعت « ليزا » لعابها بعصبية .. كانت فى غاية الانزعاج والاضطراب .

وأثارتها أفكارها .. فربما أن « مايكل » قد بدأ يشك فى حكمة الزواج من امرأة لا يحبها .

ولم تنظر « ليزا » إلى وجه « مايكل » عندما فتح باب السيارة ومد يده إليها . وأمسكت بيده وخرجت من السيارة وسارت على قدميها ترتكز على ذراعه دون أن تنظر إليه .

وقال هامساً فى نعومة :

– تبدين جميلة جداً .

وحملق إلى بعضهما هنيهة .

وسرحت « ليزا » .. إننى أحبه .. ها قد أتى الإدراك الحقيقى الفظيع فقد أحببته دائماً .

واستدار « مايكل » متماسكاً ومسيطراً على أعصابه .

– تعالوا جميعاً .. إن الاحتفال سينتظرنا فى « جازيبو » تعالى يا « ليزا » .

وعاد إليها وأمسك بيدها دون أن ينظر إليها .. وتحرك الجميع وكانت « ليزا » تتحرك وفقاً للطقوس .. تتحدث عندما يحتم عليها الأمر أن تتحدث .. وتبتسم عندما يجب أن تبتسم .

وأحست « ليزا » بأعصابها تثور وجسدها يضطرب .. كل ما أمكنها أن تفكر فيه هو لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. لماذا ؟ .

إنه لا يستحق حبها .. إنه لم يحاول أن يكسبه ولا أن يفوز به .. فمنذ تسعة أعوام اقتحم حياتها .. وحصل منها على كل ما يريده .. ثم لفظها .. واختفى .

والآن يعود إليها وبراءة الأطفال فى عينيه ويجبرها على الزواج منه .

هكذا كل شىء بسهولة .

حتى مدى حبه لـ « دافيد » لن يبرر أنانيته ، وشعرت « ليزا » بالضيق .

وقالت والدتها بعد فترة بينما كانا يجلسان فى البلكون يحتسيان العصير :

– إنك تبدين متعبة يا عزيزتى .

– ما هذا يا ماما

وقطبت والدتها جبينها :

– إن كل شىء يسير على ما يرام بينك وبين « مايكل » ، أليس كذلك ؟

وقالت « ليزا » وهى تشفق على أمها من أن تحمل مشكلاته ومتاعبها :

– بالتأكيد يا ماما .. كل شيء على ما يرام .. إنك تعلمين فقط مدى الارتباك الذى كنت فيه طوال الأسبوع الماضى .. الشراء للعديد من الملابس . نقل الأشياء والمتاع إلى « ستراث هافن » ترتيب أشياء « دافيد » .

وأومأت « ليندا » موافقة :

– نعم .. نعم .. أفهم .. على أية حال ستقيمين فى « سيدنى » .. سأحتاج إلى الاتصال بك .

– أقول الحقيقة .. إننى لا أدرى أين سأقيم .. إنها مفاجأة رتبها «مايكل » من أجلى .

وكان كل ذلك أكذوبة .. فلم يكن هناك أى شيء خاص طوال الأسبوع الماضى .

واستطردت :

– سأحدثك تليفونياً غداً يا ماما وأخبرك أين نحن .

وعلا صوت « جيمس » منادياً « ليندا » :

– هيا بنا .. سوف يتأخر بنا الوقت .

واتجهت إليه « ليزا » :

– أرجوك لا تنسى رعاية « شيرى » .

وضحك وربت على كتفيها .

– الآن يجب ألا تنزعجى لهذا الحصان .

يا عزيزتى لن أنسى أبداً العناية به فى غيابك .

وأغرورقت عينا والدتها بالدموع .. فقد حان الوقت لتقول وداعاً لابنته حتى « دافيد » بدا أنه سيهم بالبكاء .. وركعت « ليزا » بجوار «دافيد » وعانقته بحرارة وقبلته .

– سوف تكون ولداً مطيعاً لجدتك .. وعندما أعود أنا ووالدك سنأخذك معنا .

– أتعدينى ؟

– نعم أعدك .

وانهمرت الدموع من عينيها وأغمضتهما .. وعندما فتحتهما وجدت « مايكل » بجوارها وكانت ملامح وجهه جامدة جداً .

وسمعته يحادث « دافيد » :

– أعطنى قبلة يا ابنى .

ولم يبد على الصبى أنه استمع إليها وظل قابعاً فى أحضان أمه .

وركع « مايكل » بجوارهما وربت رأس « دافيد » وهمس :

– إننى لن آخذ والدتك بعيداً يا « دافيد » سوف نعود فوراً وعندما نعود سنقضى إجازة جميلة فى سفرية كبيرة .

ورفع « دافيد » رأسه وابتسم لوالده .

www.elromancia.com

– ستأخذنى إلى « ديزنى لاند » ؟

– نعم .. « ديزنى لاند » .

وارتمى « دافيد » بين ذراعى « مايكل » يعانقه بحرارة .

وانهمرت الدموع من عينى « ليزا » وابتعدت .

ومع مرور الوقت وقفت « ليزا » تودع الجميع وهم ينصرفوا بالسيارة الفاجن .

كان جسدها كله يرتعد .

– تعالى يا « ليزا » .

ولم تقاوم « مايكل » عندما أمسك بذراعها .

– لقد حان وقت النوم .

وتوقفت وحملقت إليه .

– وقت النوم ؟

– نعم .

وانهمرت دموعها .. ألا يمكنه الانتظار حتى يتوغل الليل البهيم .. ولم تكن قواها مستعدة لمقاومته .. لقد فاز بها .. أليس كذلك ؟

إنها فى الحقيقة لم تتوقف عن حبه .. ولا يهم ما الذى فعله أو سيفعله الآن .

وقادها كطفلة إلى حجرة النوم .

وشعرت بخطواتها تتثاقل وبقلبها ينبض بقوة وعنف .

وحملقت إلى سريرهما . كان كل ما تهفو إلى أن تستلقى عليه بكامل ملابسها وتدفن وجهها فى الوسادة وتستغرق فى نوم عميق تهرب فيه من كل شىء . لم تتوهج داخلها أى رغبة ولا اشتياق .

واقترب منها « مايكل » ورفع القبعة من فوق رأسها .

– دعينى أساعدك .

وانسدل شعرها على كتفيها ولم تحاول أن تعيد رفعه لأعلى وبدت دهشة عندما أمسك « مايكل » بيدها وقادها إلى السرير وأجلسها على حافته ولكنها لم تقاوم .

وعندما ركع ممسكاً بحذائها جفلت فجأة واتسعت عيناها وارتعشت .

ورفع رأسه وحملق إليها ، كانت نظراته مفكرة متعمقة قبل العودة إلى ما كان يفعله .

وحاولت « ليزا » التماسك تجاهد فى إبعاد تلك الأحاسيس التى خلقتها لمسانه لها . إلا أنها لا تريد أن تشعر بذلك ليس الآن . إنها تريد أن تكرشه لأنها جعلته تعشقه .

وقال آمراً :

– استلقى للخلف .

ومست يداه كتفيها فى حنان .

وجفلت وتماسكت فى برود .

ونظر إليها طويلاً ثم رفع غطاء السرير وأسدله عليها وقال آمراً :

- نامى يا « ليزا » .

وارتجفت .

- ولكننى ظننت أنك ..

وفى برود رمقها بطرفى عينيه .

- لا .. يا « ليزا » ليس مع جمودك هذا .

إننى لا أجبر أية امرأة على أن تعطينى شيئاً دون رغبتها .

- ولكن يا « مايكل » إننى ..

وصمتت فجأة .

لقد انصرف من الحجرة تاركاً إياها بمفردها وعندما أغلق الباب استلقت « ليزا » على ظهرها . وغطت فى نوم قلق . إن « مايكل » رجل الأمس لم يكن ليتركها أبداً . أما « مايكل » رجل اليوم فقد تركها بمفردها .

وبكت فى حرقة .

* * *

الفصل العاشر

واستيقظت « ليزا » ، كانت متعبة ومضت ثوان قبل أن تتحقق أين هى .

ونظرت لساعتها ، كانت العاشرة ، لقد نامت أكثر من تسع ساعات متواصلة .

وحملقت فى باب الحجرة المغلق وتساءلت :

ترى هل عاد « مايكل » ؟ وإن كان قد عاد فلماذا لم يأو إلى السرير ؟ وأين هو الآن ؟ ألم يكن يرغبها حقاً ؟

وكلما فكرت فى « مايكل » أصبحت أكثر انزعاجاً وقلقاً .

هل يمكن أن يكون لا يهتم ولا يعبأ بها ؟

هل كانت تلك مجرد رغبة فى امتلاك جسدها فقط ؟

ربما أن كل ما يهفو إليه هو ذلك الخاتم الذى فى إصبعها ويربطها به ووجود « دافيد » تحت سقف منزله .

ونهضت من سريرها فجأة ورفضت أن تكون أسيرة لتلك الأفكار السمجة ، وأن تتوه فى خضم بحور خيالها .

أى شىء يمكنها أن تفعله ولا تترك نفسها فريسة لتخيلاتها . ولم تمض دقائق حتى كانت « ليزا » ترتدى بنطلون الجينز

والـ « تى شيرت » ، وتركت الحجرة معرجة إلى المطبخ وتناولت كوباً من اللبن ثم هبطت متجهة إلى باب الخروج . إن السير بالخارج سيفيدها كثيراً وترددت ثم خطت رسالة سريعة تخبر « مايكل » بذهابها .

وكانت الشمس تسطع فى السماء بينما تسير « ليزا » فى اتجاه الكوبرى معرجة إلى اسطبل « شيرى » وأحست بخوف حيث لم تجد أى وجود لـ « شيرى » ولكن ..

أين « شيرى » إن الاصطبل خاو .

وفجأة لمحتها « ليزا » مستلقية فى الركن البعيد من الاسطبل بجوار شجرة قديمة .

ولم تشعر « ليزا » أبداً بمثل هذا الخوف والجزع وانهمرت دموعها وتضرعت : آه .. يا ربى لا تدع مكروهاً يحدث لـ « شيرى » .

وارتجفت « ليزا » وهى تتجه نحوها وركعت بجوارها وربتت عنقها وبكت فى حرقة وصرخت :

– إنى هنا يا حبى القديم ، إننى هنا ، كل شىء سيكون على ما يرام .

– ولكن لم يبد كل شىء على ما يرام ، لقد كانت « شيرى » فى حالة ولادة متعسرة .

واقتربت منها « ليزا » تساعدها على تلقى وليدها .

واستجمعت « ليزا » كل صبرها وخبرتها فى الطب البيطرى وأخيراً .. علا صهيل المهر الوليد .

وانهمرت دموع « ليزا » .

وفجأة سمعت صوتاً .

– إذن فهأنت هنا .

والتفتت للخلف ووجدت « مايكل » يتجه فى غضب نحوها وتلاشى غضبه بينما التقت عيناه بعينيها وتمتم :

– أوه .. يا ربى .. لا .. لا دموع من جديد .

وهز رأسه فى أسى .

– لا يمكنى تحمل ذلك .

ونهضت « ليزا » إليه .

واستطرد :

– لقد وافقت يا « ليزا » على هذا الزواج وأعترف بأننى قد أجبرتك على ذلك ولكنك تدركين أنه من أجل «دافيد» . ويمكنك على الأقل إعطائى الفرصة بدلاً من ... أوه .. يا للسماء !!

مس شعر رأسه فى أسى وألم وصرخ فيها :

– ماذا أيضاً يمكننى أن أفعله ؟

وذهلت « ليزا » وهى تحملق إليه . لقد كشفت كلماته عن مكنون نفسه . هل هذا الرجل دون أحاسيس وبارد وأنانى ؟

مستحيل .

واستطرد من جديد :

– يا للعنة يا ، ليزا ، إننى لست من حجر ولقد نفد صبرى . لقد حاولت فى الليلة الماضية أن أكون زوجاً محترماً .. ألست كذلك ؟ يا للعنة . لقد كان الابتعاد عنك هو أسوأ شىء فعلته فى حياتى .

وخفق قلب ، ليزا ، إنه ما زال يريدها .

واندفع نحوها وهزّ كتفيه بعمق وقوة :

– ياللعنة يا ، ليزا ، لقد استيقظت من نومى وعرجت على حجرتك . وفقط وجدت السرير نظيفاً ومرتباً ولم أجدك وبحثت عنك فى كل مكان .. والرعب والقلق والخوف تحيط بى . وهأنذا أجدك هنا ، ومن جديد عيناك مغرورقتان بالدموع . ما المفروض أن أفعله ياللعنة ؟ ألست تهتمين بما أفعله ؟

وقالت بأنفاس لاهثة تقاطعه :

– أوه «مايكل» إننى آسفة .. ألم تجد الخطاب الذى تركته لك ؟

– خطاب ؟

– لقد تركت رسالة فى المطبخ تخبرك بأننى سأسير لأفحص «شيرى» ، ومن الواضح أنك لم تقرأه .

ثم إن دموعى ليست لها أية علاقة بك . إننى أبكى من السعادة .

وقادته من ذراعه وأشارت إلى المهر الصغير .

– انظر إنه مهر جميل لقد حصلت ، شيرى ، على طفلها وهذا هو سبب تأخيرى .

ومن جديد كانت ، ليزا ، تبكى .

– انظر .

وصرخت ثانية :

– انظر يا ، مايكل ، أليس جميلاً ؟

وحملق إليها طويلاً . ثم قال أخيراً :

– إننى أرى .

وتنهدت .

– الحمد لله .

وسألها :

– إذن فأنت لا تفكرين فى الرحيل عنى ؟

– لا .

وبحذر سألها :

– والدموع فعلاً من أجل الفرس .

– أقسم لك .

وأشار إلى الفرس .

– وهذه الفرس « شيرى » تعنى شيئاً لك ؟

– أوه .. نعم .

– لماذا بصورة خاصة .

وقصّت عليه « ليزا » رحلة عمرها مع « شيرى ».

وكان ينظر إليها باهتمام عميق .

وسارا ببطء حول الاصطبل وهما يتحدثان وسألها :

– لماذا لا تنقاينها إلى الجزيرة ؟ فهناك مأوى ومأكل أفضل .

– سيكون ذلك رائعاً ولكن ..

– ولكن ماذا ؟

– يجب أن يكون لهما اصطبل .. والاصطبل الجيد يحتاج إلى كثير من النقود وربما ..

وقاطعها « مايكل » وأمسك بكتفيها :

– يمكننى أن أقدم الاصطبل ، يمكننى أن أقدم أى شىء تريدينه كل ما عليك أن تطلبى وسوف أدفع .

وابتسمت وتمتمت :

– « مايكل » .

وأجابها والقلق فى عينيه من جديد .

– نعم ؟

– صباح الخير .

وعانقته فى سعادة .

وبلاشك فإنها قد صدمته وتراجع للخلف ثم قال ، هو يحاول التماسك :

– ومن أجل ماذا .. ذاك ؟

– لا شىء لقد أحسست أننى أريد معانقتك فحسب .

ورفع حاجبيه .

– أتريدين فعلاً ؟ الآن ؟

– نعم .

ونظر إليها وقال فى حذر :

– أتدرين أننا لانعرف بعضنا بعضاً جيداً .

وابتعدت عنه وشعرت أنه سيحدثها عن زوجته الراحلة . إنها لاتريد أن تعرف أى شىء عنها .

وقالت :

لقد عرفنا ما يكفى عن بعضنا .

وبهدوء قال :

– هذا رأيك وحدك .

واستطردت تقول لتغير الموضوع :

www.elromancia.com

– يجب أن أحادث ، جيمس ، تليفونياً فيجب عليه أن يفحص «شيرى ، ويهتم بها فى غيابى .

وبتردد قالت :

– أعتقد أنه يمكننا أن ..

وقاطعها وأمسك بذراعها يدفعها لترك الاصطبل :

– لا .. إننا سنطير إلى ، سيدنى ، ولا نريد أحد معنا . سنمضى الأيام معًا .. أنا وأنت فقط .. و ، جيمس ، سيهتم بالفرس وحده .

إننا نحتاج إلى الخصوصية .

وسارا معاً .

ثم قال :

– إن السيدة ، دوللى ، دائماً تعد طعام الفطور فى الثامنة صباحاً ولا تكره شيئاً آخر قدر كراهيتها إعداد الطعام لأشخاص غائبين.

وجلسا معاً حول مائدة الفطور التى كانت حافلة بعصائر الفاكهة وكعك البطاطا والبيض والجبن بالإضافة إلى الخبز (التوست) وأقداح القهوة .

وابتسمت ، ليزا ، للسيدة ، دوللى ، وشكرتها.

وقالت السيدة ، دوللى ، فى مودة :

– أرجو من سيادتك يا سيدة ، روبرت ، أن تعدى قائمة بأنواع الأطعمة التى يحبها ، دافيد ، حتى أقوم بإعدادها له .

– بكل سرور .

واندفع ، مايكل ، يقول :

– يجب على هذا الصبى أن يأكل فى مواعيده وألا يأكل بين الوجبات .. إن هذا ضار جداً بصحته .

وقالت ، ليزا ، :

– إنه يحب كل شىء وبين الوجبات يعشق قطع الشوكولاته والآيس كريم ولكن هل هذا ضار به يا سيدة ، دوللى ، ؟

وهزت المرأة رأسها :

– بالتأكيد لا .

قال ، مايكل ، مداعباً :

– ينبغى علىّ أن أقوم بتعيين رجل فى وظيفة مدير المنزل ..

وضحكت السيدة ، دوللى ، وقالت وهى تبتعد :

– أشك فى ذلك كثيراً ما دام لديك تلك العروس الرائعة .

وقال ، مايكل ، مستطرداً :

– كنت سأقوم بتعيين سيدة فى وظيفة قائدة للهليوكوبتر .

واندفعت ، ليزا ، تقول دون تفكير :

– ولكن عروستك الرائعة لن توافق .

ورمقها ، مايكل ، بحب وعنفوان .. كان يستشف فى عينيها هل هذا حب ؟ أم تملق ؟

وران الصمت .

ثم قال ، مايكل ، فجأة :

– يجب أن أقوم ببعض مكالمات العمل بعد تناول فطورنا . إنى أكره أن أتركك بمفردك . ولكن الهليوكوبتر سوف تأتى فى ميعادها لتحملنا إلى ، ريجنت ، .

– ريجنت ؟

– نعم ألم أخبرك ؟ آسف لقد كنت أمكث هناك منذ ..

وصمت .

وانزعجت ، ليزا ، وفكرت .. منذ ؟ منذ ماذا ؟ ما الذى يفكر فيه ، مايكل ، ؟

وتطلع إليها وأردف :

– إنه فندق جيد جداً سوف تحبينه .. إننى متأكد .

– ماذا يمكننى أن أحمل معى الملابس و ..

وارتشف ، مايكل ، قدح القهوة وقال :

– أوه .. نعم .. الملابس .. لتكن قليلة بقدر الإمكان .

واستطرد ضاحكاً :

– آسف .. لا أريد إزعاجك ولكن الهليوكوبتر يكون لها مشكلة وزن عندما تحمل شخصين .. ليس فقط كذلك وتردد ..

– ماذا ؟

– لقد لاحظت عندما أحضرت ملابسك أنك لا تملكين ملابس على أحدث طراز أنثوى جذاب. لذلك سآخذك للشراء فى هذا المساء . إنى أعلم أنك لا تهتمين بالملابس الفاخرة . ولكننى مصمم أن أرى زوجتى فى الملابس الأنيقة الغالية الفاخرة .

وبفتور قالت :

– لو كانت تلك هى رغبتك .

وعاد يبتسم ابتسامة دافئة وسألها :

– أين تقومين بالاتصالات التليفونية الخاصة بك ؟

لقد سمعتك تحدثين والدتك أنك ستطلبينها لتخبريها أين ستكونين بالإضافة إلى أنك ستخبرين ، جيمس ، بأمر ، شيرى ، ليهتم بها .

وأومأت .

– أسرعى إذن إنها العاشرة تقريباً .

ونهض تاركاً الحجرة لها ، بينما كانت تجلس فى قلق وانزعاج .

وفكرت طويلاً إن ، مايكل ، لم يكن صاحب تلك الشخصية السوداوية التى ظنتها عنه طوال تلك السنوات المنصرمة ، وغباؤها الواضح وحدوث الحمل بسبب حماقتها .

www.elromancia.com

وفكرت إنها و «مايكل» لم يكونا متفتحين .. ولم يعرفا بعضهما بعضاً جيداً .. هناك الكثير من الآلام والمعاناة لكل من الجانبين ، لقد أخطأ كل منهما . وكل منهما يحمل بعض الضغينة .. هى بسبب غطرسته وهو بسبب إخفائها حقيقة وجود « دافيد» عنه . وجاءها صوت داخلى :

– إلى أين ستذهبين من هنا ؟

ونهضت :

وهزت كتفيها وأتت إجابتها :

– إلى « سيدنى » .

– إلى « ريجنت » .

– و الخصوصية .

* * *

الفصل الحادى عشر

كانت الرحلة إلى « سيدنى » قلقة ومثيرة للأعصاب وفى البداية كان « بول » قائد الطائرة يختلس النظر إليها وتخيلت أنه يستعيد المنظر الذى يراه فى المكتبة بحضوره المفاجئ .

وكان « مايكل» يجلس صامتاً لايعلم إلا الله وحده فيما يفكر ، وكانت « ليزا » خائفة لركوب تلك الهليوكوبتر الصغيرة وكانت تتضرع إلى الله فى نفسها ألا تحدث كارثة وقررت ألا يركبها «دافيد» أبداً .

وأخيراً وصلوا .

واستقلا سيارة أجرة «وجلس بجوارها وحملق إليها «مايكل» طويلاً قبل أن يضع ذراعه حول كتفيها ويجذبها قريباً منه .

ووصلا إلى الفندق .. كان الفندق أفخم وأجمل مما تصورت وبدت معرفة الجميع بـ « مايكل » كل خطوة يخطوها معاً تسمع صباح الخير يا سيد « روبرت » مرحباً بك يا سيد « روبرت » .

جميل أن أراك من جديد يا سيد « روبرت » وأخيراً .. انفردا معاً فى حجرتهما .

وفجأة اندفعت « ليزا » نحوه وأحاطت بعنقه وهمست :

– قبلنى يا « مايكل » احتوينى .

وجفل وابتعد عنها .

واتجه نحو النافذة ينظر من خلالها فى غيظ وحنق .

وانزعجت « ليزا » .

ترى ما الخطأ ؟ هل قالت شيئاً ما يغضبه ؟ ترى ما الذى حدث ؟

واقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وهمست :

– « مايكل » ألا تريدنى ؟

واستدار ببطء نحوها وقال فى أسى :

– بل أريدك وما زلت أريدك .

وصمت هنيهة ، ثم أردف :

– ولكنى لا أريدك يا « ليزا » بتلك الطريقة .

كأنك تضحين من أجلى .. من أجل إسعادى .

واستطرد :

– بل أريدك طواعية دون اضطرار . أريدك كما تريد أى امرأة رجلها بصدق ولهفة واشتياق .

وقالت :

– لكننى أريدك يا « مايكل » .

وهمست : إن الصدق وحده هو المطلوب الآن ولا شىء آخر غير الصدق وقالت فى تردد :

– إننى .. إننى أردتك الليلة الماضية أيضاً .

وحملق إليها غير مصدق.

– لقد ابتعدت عنى الليلة الماضية يا « ليزا » .

لم أتخيل ذلك لقد كرهت لمساتى ولكن .. وخطت خطوة أخرى وهمست :

– لا .. إنك أسأت فهمى ربما فى البداية . لقد أردت أن أكرهك بسبب إننى . أوه .. وبدت الحقائق تنقشع أفسدته فى المكتبة بسبب حماقتها وعلا صوتها .

– « مايكل » إننى ..

وصمتت فجأة ، إنه لن يصدقها لو أقسمت أنها تحبه .

وقال :

– أنت ماذا ؟ تحبيننى ؟ .. إننى لست حالماً يا « ليزا » لقد واجهت العديد من الوقائع القاسية فى حياتى . أعلم أنك تمقتيننى يا « ليزا » لا تنكرى أننى أرى هذا فى عينيك .

وابتعد عنها .

ولكنها تشبثت بعنقه .

– أرجوك يا « مايكل » استمع .

وبألم قال « مايكل » :

– أستمع إلى ماذا ؟ .. إلى المزيد من الأكاذيب .

– لا أريد أن استمع إلى أكثر من ذلك .

فقد سئمت ذلك .. لقد تعبت .. تعبت كثيراً .. ربما يجب أن أواجه الواقع وأن أرضى .. ربما توافقين أنت أن تعطينى إياه .

واقترب منها .

وتحسس وجهها وعنقها .

ثم انزلقت يده إلى جسدها والتفت ذراعاه حول كتفيها .

وجذبها إليه .

واستكانت « ليزا » بين ذراعيه ، لا يهم .. إنه يأخذها وهو فى حالة الغضب الشديد .. الذى يهمها أن يأخذها .

وأحست بدفء الحياة كلها وهى فى أحضانه وأعطته كل ما يرغب أن تعطيه إياه .

ثم .

ثم ابتعدت عنه تلتقط أنفاسها اللاهثة .

وهمس مزمجراً :

– لا . اقتربى ، تنفسى أنفاسى . أريد جزءاً منك معى .. لتمتزج أنفاسك يا « ليزا » بأنفاسى اللافحة .

وأثارت كلماته الدافئة حرارة أعماقها .

وتوهجت وجنتاها وشعرت أنها تنصهر .

واستجابت له .

وسبحت « ليزا » فى عوالم حالمة وألوان متماوجة وأضواء متراقصة وأغمضت عينيها .

وأدركت أنه « مايكل » حبيبها القديم لم يتغير مازال «مايكل» كما هو صاحب الهوى الوحيد .

وهمست وهى تمتطره فى نشوة .

– « مايكل » .

وابتعدعنها يحملق إليها وعادت تهمس :

– حبيبى الغالى ياحبى .

وشعرت بجسده يتجمد ويبتعد عنها وكادت تصرخ عندما رأت كتفيه ترتجفان بشدة ونادت :

– « مايكل » ما الخطأ ؟

وقال بصوت فج قاس :

– عليك اللعنة يا « ليزا » عليك اللعنة .

وفوجئت وفغرت فاها مصدومة .

واتسعت عيناها وهى تحملق إليه بجزع .

ومست كتفيه برقة وهمست :

« مايكل » ما الذى قلته ؟ فعلته ؟

واستدار إليها وهتف بعينين قاسيتين :

– هل هذا هو كل ما يمكن أن يروضك يا « ليزا » ؟

مجرد استلقاء واحد ، ثم تقعين فى حبى ؟ أو إنك تحبين كل رجل يستطيع إرضاءك .

وابتعدت عنه فى وجل وخوف .

ولكنه استمر يقول فى قسوة :

– على الأقل دعينا نترك بعض الأمانة فى هذا الزواج . إذن فالحب جيد بيننا أكثر من جيد ، بل إنه رائع . حسناً . إننى لست مندهشاً إنه هكذا دائماً .. ولكن بحق السماء لا أريد استئنافات مزيفة . حسناً ، احتفظى بحبيبى وحبى لنفسك .

وبدأ وجه « ليزا » يشحب كالموتى وبدأ جسمها يرتجف ، لا يمكنها أن تصدق هذا الرجل ، فإما أنه مجنون ، أو بلا قلب .

لقد أفرغت حبها كله داخله طوال تسعة أعوام ؟ وها هى ذى أخيراً تتماوت وتموت لتعطيه كل ذرة سعادة . تعرض عليه قلبها وجسدها على صينية من الفضة وماذا فعل بذلك ؟ ألقاه فى وجهها .

وتطلعت لتحملق إلى وجهه . وتماسكت وحبست دموعها لتحتفظ بالدموع لمواقف أشد قسوة . ونهضت على قدميها ، لم تحاول الاختفاء عن عينيه . ولا ستر جسدها العارى . ونظرت إليه مستجمعة كل شجاعتها وبوجه مزهو وعينين ثابتتين .

وقالت بنغمة صلف تجيبه :

– رائع جداً يا « مايكل » لو كنت تؤاخذنى . سأذهب لأغتسل لقد قلت شيئاً ما عن اصطحابى للتسوق هذا المساء ؟ لتنس ذلك ليس هذا هو النظام كيف هذا من أجل الأمانة والشرف ؟

واستدارت مبتعدة عنه ومتجهة نحو الحمام ، ثم عادت تنظر إليهم من جديد .

واستطردت :

– وبمناسبة الحديث عن الأمانة والشرف لدى شىء ما أريد أن أقوله . يمكنك أن تكف عن إلقاء الرجال الآخرين فى وجهى . ليس هناك رجال آخرون أبداً على الإطلاق . لقد كذبت إنك كنت حبيبى الأول والوحيد يا « مايكل » .. الأول والوحيد . وهرعت داخل الحمام وأغلقت الباب خلفها .

ولكن أثارها هذا الهدوء .

وأصغت سمعها وهى بالداخل إلى ما فى الحجرة .

آلمها أنه لم يهرع خلفها . إنه لم يستسمحها المغفرة ، وبللت شفتيها ووقفت تحت صنبور المياه . تاركة لمياهه الدافئة المتدفقة أن تغسل كل أحزانها وآلامها.

* * *

الفصل الثانى عشر

وخرجت « ليزا » من الحمام أخيراً .

وسرحت بخيالها فى ألم .

إن هذا الزواج لا يمكن تحمله . إنها لن تستطيع رؤية « مايكل » كل يوم والنوم بجواره كل ليلة . واحتمال سخريته بها ومعاملته الجافة والمجنونة معها .

كيف أنها كانت حمقاء ، لقد كان صريحاً معها منذ البداية عندما أعلن لها وهما فى المكتبة أن رغبته الوحيدة أن يمتلك ابنه فى حياته وهذا هو السبب الوحيد الذى جعله يتزوج بـ « ليزا » ، والعاطفة بينهما ليست هى ممارسة للحب فليس هناك حب بينهما .

لقد صارحها من قبل إنه لا يوجد أى رجل يحب زوجة صعبة أو شريكة لحياته غير راغبة .

لتكن « ليزا » صريحة مع نفسها لا يوجد حب بينهما .

إن «مايكل» كان لديه فى حياته حب واحد وحيد هو حبه لزوجته، وقد ماتت زوجته .

وحدثتها نفسها .

ولكن عليك إدراك أن هناك « دافيد» وعليك التفكير فيه ، كما أن هناك والدتك و «جيمس» .

لقد كنت تعلمين أن هذا الزواج صعب ، لن يمكنك الهروب عند أول فرصة ، عليك أن تتحملى وتصبرى .

ونظرت إلى الحجرة .. كان السرير خالياً .

ونظرت « ليزا » إلى حجرة المعيشة .

كانت خاوية أيضاً .

لقد ذهب « مايكل » وحز فى نفسها ولكنها تماسكت وحدثت نفسها .

ربما أنه قد ذهب يتمشى قليلاً وعندما يعود سوف أهرع إليه وأستسمحه وأخبره بأننى سأكون زوجته الرقيقة المطيعة . وأنه يمكن ممارسة الحب معى فى أية لحظة يريدها ، وسوف ..

واستلقت على أقرب مقعد ، ثم نظرت إلى صينية الطعام التى لم يلمسها أحد وأجبرت نفسها على تناول الطعام .وأكلت « ليزا » ولكنه لم تشعر بطعم ما أكلته ثم ارتدت ملابسها ببطء .

ولكن « مايكل » لم يعد الآن ، وبدأت الشمس تغرب وتشاغلت «ليزا» وقامت تصفف شعرها وتعدل من هندامها وتضع قليلاً من الزينة .

ولكن ما زال « مايكل » غائباً . ونظرت فى ساعتها إنها الخامسة . وقطع الصمت رنين التليفون .

وانتفضت ثم أسرعت ترفع سماعة التليفون .

– نعم ؟

– « ليزا » .

– «جيمس»

– نعم .

وبدت دهشة ثم أثارها صمت « جيمس » المفاجئ وأزعجها ، فصرخت :

– « جيمس » .

– « ليزا » إنى ..

وتنهد .

وأمكن لـ « ليزا » أن تسمع نحيب امرأة عبر أسلاك التليفون .

وصرخت :

– أوه .. يا ربى .. « دافيد» شيء ما حدث لـ « دافيد » .

– لا تجزعى يا « ليزا » إنه على ما يرام أقصد فى حالة جيدة ، إنه ما زال حياً . صه .. صه .. يا « ليندا » إنه .. إنه .. لقد أصيب فى تدريبات الكرة هذا المساء ، إنه فى المستشفى العام ويقولون : إنه يجب أن .

وقاطعته فى ثورة .

– هل مغمى عليه ؟

وبعد صمت طويل قال :

– نعم .

وانتحبت .

– آه .. يا ربى .

وانفتح باب الحجرة ودخل « مايكل » وصرخت « ليزا » :

– انتظر .. انتظر لحظة يا «جيمس» .

ورنت بعينين جاحظتين نحو زوجها الذى تسمر فى مكانه .

– « مايكل » إنه .. إنه ..

وانحبس صوتها .

وسألها فى جزع :

– ما هذا ؟ ما الذى حدث ؟

وصرخت فى نحيب :

– إنه حادث ..إنه « دافيد » .

وفجأة رأته يصرخ :

– أوه .. لا .. لا ياربى . ليس « دافيد » ليس هو أيضاً .

– « ليزا » ، « ليندا » أما زلت هنا ؟

وجاءها صوت «جيمس» عبر أسلاك التليفون :

– نعم يا « جيمس » إننى هنا .

وحملقت فى انزعاج إلى « مايكل » .

واستطردت :

– نعم ..نعم .. إننى أستمع بالتأكيد يمكننى .

اعطنى اسم الطبيب الذى يحتاج إليه « دافيد » سأحاول حتى .

وجذب « مايكل » سماعة التليفون من يدها .

– « جيمس » إننى « مايكل » أعطنى اسم هذا الطبيب سأحاول .

نعم .. نعم .

وربت ظهر «ليزا» التى اكتشفت أنها ترتجف بشدة وعاد «مايكل» يقـول :

– نعم .. لا حاجة إلى كتابته ، سأتذكر ذلك .

نعم.. لا ألوم أحداً . إن الحوادث تحدث دائماً .نعم سأتصل فوراً .

وأغلق « مايكل » الخط .

ثم رفع السماعة واتصل بأرقام أخرى وأعطى الأوامر .. و « ليزا » تحملق إليه دهشة لهذا التغيير فى حالة « مايكل » . أى نوع من الرجال قد تزوجت ؟ فى لحظة ينكسر حاله والتالية يعود رجلاً خارق القوى يقوم باتخاذ القرارا ت .

نعم .. لقد حمدت الله أنها فى كنف هذا الرجل وتحت سقف حمايته .

www.elromancia.com

وجذبها من يدها :

– هيا يا « ليزا » لدينا أشياء سنفعلها .. لا اتركى أمتعتنا الآن لم يعد هناك أى وقت للدموع لا وقت للحديث لا وقت للتنهدات والآلام والخوف .

وكانت فى الطريق مع « مايكل » فى سيارة الأجرة التى توقفت أمام مستشفى « سانت فينسنت » ومكثت السيارة، بينما أسرع «مايكل» للداخل .. ومرت دقائق ثم عاد مصطحباً طبيباً هادئاً .

وصرخت :

– أوه .. أرجوك ..

– حسناً .. إننا فى طريقنا الآن .

ورمقته « ليزا» . كان الجزع بادياً عليه . إنه يفقد زوجته أولاً ثم يشعر أنه يفقد ولده الوحيد ، بلا شك إن ما يمر به يفوق قدرة أى إنسان على تحمله والصبرعليه .

وأمسكت بيده فى رقة وضغطتها فى حنان ونظر إليها وهمست :

– سيكون على ما يرام .

قال فى حزن :

– لا يمكنك إدراك ذلك يا « ليزا » ولكننى لو فقدت « دافيد» أيضاً.

وأغمض عينيه وارتجف جسمه بشدة . وكانت يداه باردة جداً وهى قابعة فى استكانة بين يديها .

وانهمرت دموعها ووصلوا أخيراً .

وهرعت والدتها و « جيمس » تجاهها .

– « ليزا » يا عزيزتى الحمد لله أنك هنا .

وألقت « ليندا » بنفسها بين ذراعى ابنتها.

* * *

ومر وقت طويل وبعد فحص الطبيب لـ « دافيد » أمر بإجراء جراحة عاجلة ، وظل الأربعة ينتظرون فى صالة المستشفى حتى ساعات الصباح الأولى .

وكان الجو متوتراً جداً ولم تلحظ « ليندا » ولا « جيمس » أسلوب معاملة « مايكل » لزوجته .

فقد تركها وظل يسير جيئة وذهاباً .

ويرفض تناول أى شيء من طعام أو أقداح الشاى أو القهوة وكان حزيناً حزن الدنيا كله .

وبدا أنه هرم عشرة أعوام زيادة على عمره .

وأرادت « ليزا » أن تهرع إليه .. أن تواسيه ، ولكنها كانت تعانى أيضاً وكانت خائفة جداً .

وأخيراً ظهر الطبيب وقال :

– السيد والسيدة « روبرت » إن « دافيد » سيكون على ما يرام . لقد اجتاز مرحلة الخطر .

وصرخ الجميع .

– الحمد لله .

وهتفت « ليزا » :

– هل يمكننى رؤيته ؟

– بلا شك ولكنه ما زال غائباً عن الوعى من تأثير البنج ولكن لا بأس .

وعادت « ليزا » تهتف لوالدتها ولـ « جيمس » :

– أرجوكما عودا للمنزل واستريحا سأمكث مع « مايكل » إن « دافيد » سيكون بخير .

وأطاعا على مضض .

وعادت « ليزا » إلى « مايكل » . إنه لا وقت الآن للمشاحنات والضغائن السخيفة .

إنه وقت لشكر الله على نجاة ابنهما .

وأمسكت بذراعه .

– « مايكل » هيا نذهب لرؤية « دافيد » .

ونظر إليها ثم انهار على أحد المقاعد ولاذ بصمت عميق وربتت « ليزا » كتفه فى حنان . بلا شك أن هناك شيئاً ما يذكره بـ « سلينا » زوجته الراحلة وأجبرت نفسها ما دامت تحب « مايكل » وتريده فلابد أن تعايش حقيقة « سلينا » .

وهتفت :

– « مايكل » ما هذا ؟ أخبرنى .

وهز رأسه فى ألم .

– هل .. هل هو شيء له علاقة بـ « سلينا » ؟ أريد أن أعرف .

وهز رأسه من جديد .

– لا .. إنك لا تريدين .. إنك لم تريدى ذلك أبداً . ولا ألومك على ذلك . لقد أخطأت فى كل ذلك ، اقتحمت حياتك واقتحمت حياة « دافيد » . لقد أردتكما معاً بيأس .

ولمعت عيناه بالدموع .

– كل تلك السنوات من ...

وارتعشت شفتاه وأغلق فمه وأغمض عينيه وهتف :

– لن تفهمى أبداً .

وصرخت :

– « مايكل » أرجوك أعطنى الفرصة إننى .. إننى .. لم أستطع أن أستمع لحديثك عن « سلينا » من قبل . لأننى .. لأننى .. كنت غيورة، ولم أستطع أن أتحمل حقيقة كونك ملكاً لامرأة أخرى سواى .

وبأسى همس :

– إننى لم أحب ، سلينا ، أبداً يا ، ليزا ، . وكنت أحياناً أشعر نحوها بالكراهية لأنها تحتفظ بى إلى جانبها ، ولكن .. ولكن لم يكن هناك أحد آخر بجوارها .

وأحاطت خصره بيدها .

– أخبرنى .. أخبرنى بالمزيد أريد أن أعرف كل شيء .

وحملق إليها غير مصدق .

– إنها ليست قصة سعيدة يا ، ليزا ، .

وابتلعت ريقها .

– يمكننى الحكم على ذلك .

وتردد ثم قال :

– لاشك أننى أعجبت بك يا ، ليزا ، . لقد رأيتك قوية ومستقلة ومتماسكة وهناك يوجد قلب فى أعماقك يتمنى كل رجل أن يغزوه .

واستطرد :

– لقد كان أسوأ شيء فى حياتى ذلك اليوم الأسود الذى كتبت فيه هذا الخطاب وتركتك تذهبين .

وأجلسته على مقعد بجوار سرير ، دافيد ، فى رقة وحنو وحثته على الحديث .

وقال ساهماً :

– لقد كنت فى السادسة والعشرين عندما قابلت ، سلينا ، أول مرة وكنت وحيداً . فقد تزوجت شقيقتى واصطحبت معها أمى الأرملة لتعيش فى منزلها ، وكنت تواقاً لتكوين عائلة لى وكانت ، سلينا ، جميلة وذكية وصحبتها ممتعة ، ولكن فى تلك الأيام كنت طموحاً وتواقاً لاحتلال منصب رفيع فى عملى ولم أكن أعبأ بالحب وكنت أظن أن الحب ليس حجراً أساسياً مناسباً للزواج .

وتزوجنا . ولكن ، سلينا ، كانت سعادتها الوحيدة فى الذهاب للحفلات بينما فكرتى عن الزواج لم تكن كذلك وقد ألحت عليها أن تمنحنى طفلاً ولكنها أرادت الانتظار بضعة أعوام أخرى . ثم .. ثم منحتنى طفلة .

كانت تدعى ، لوتى ، وقد .. وقد غرقت وهى فى الثانية من عمرها .

وبدا الجزع على محيا ، ليزا ، إن فقدانه طفلته . يا للسماء لو فقدت ، دافيد ، تلك الليلة .

ورفعت عينين مغرورقتين بالدموع تتطلع إلى وجه ، مايكل ، الذى كان يحملق إلى ابنه . كأنما يتأكد ما إذا كان ما زال حياً .. ثم عاد .. ينظر إلى ، ليزا ، ويستأنف حديثه :

– وكانت ، سلينا ، على التليفون عندما حدث ذلك .

كانت مدعوة لحفل عشاء وكانت تتحدث بالتليفون عن جليسة أطفال تجالس « لوتى » حتى تعود من حفلها .. ويبدو أن « لوتى » قد تسللت منها وسقطت فى حمام السباحة وغرقت .

وبكت « ليزا » .

– أوه يا « مايكل » ، كيف كان هذا قاتلاً إياك ؟

وبأسى استأنف حديثه :

– كم كان هذا مؤلماً .. لم أقاس فى حياتى مثلما قاسيت فى تلك الظروف . أما « سلينا » فبدت متماسكة أكثر من ذى قبل وأكثر منى . بل ازدادت حياتها الاجتماعية وسهراتها وحفلاتها وخروجها وعودتها للمنزل عند الفجر .

وواجهتها .

ولكن المفاجأة أنها اعترفت أن هناك رجالاً آخرين فى حياتها .

رجال آخرون ... وصعقت وأذكر أننى قد تحطمت نفسيتى تماماً ولكننى تماسكت وبدأت أتخذ إجراءات الطلاق .

ثم رحلت .

وقالت « ليزا » :

– هل كان هذا عندما جئت للمزرعة ؟

– نعم .

واقترب منها هامساً :

– وقد أحببتك يا « ليزا » يجب أن تصدقى ذلك . نعم لقد أحببتك بالفعل ويبدو أننى كنت مندفعاً منذ وفاة « لوتى » فلم أنتظر حتى انتهاء إجراءات الطلاق ، بل أردت أن أتملكك فوراً وأن آخذك كلك وهكذا كان ما كان .

واستطرد :

– ولكن جاءتنى مكالمة تليفونية . لقد أصيبت « سلينا » فى حادث واستدعانى والدها تليفونياً . لقد كانت ابنته الوحيدة ولم أستطع أن أرفض . وكان الوقت فى منتصف الليل ولم أستطع أن أودعك يا « ليزا » .

وصمت .. كان يقاوم الحزن العميق .

وأردف :

– لقد عنيت أن اتصل بك فى الصباح ولكن الجحيم كله كان ينتظرنى . لقد أتى الطبيب بأخبار أن «سلينا» أيامها معدودة فأصيب والدها بصدمة ومات فى الحال . كانت صدمة وراء أخرى وظلت «سلينا» تصارع الموت وتسأل عن والدها لم أكن أدرى بماذا أخبرها ؟ وانتابتها الهيستيريا وفى النهاية اضطررت أن أخبرها بالحقيقة ومن نظراتها الجازعة ويدها الممدودة نحوى ، أدركت أنه لن يمكننى أن أتركها .

وتنهد :

– ثم جلست لأخط إليك هذا الخطاب اللعين .

وهمس فى لوعة :

– سامحينى يا « ليزا » .

وانهمرت الدموع مدراراً من عينيها .

لقد تقبلت أخيراً حقيقة الحب الذى يكنه « مايكل » لها وحقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه .

– ماما .. بابا .

وانتفضا وهرعا إلى سريره متشابكى الأيدى ، كل منهما تنهمر دموعه تغرق وجهه .

وقطب « دافيد » جبينه وهو يتطلع إليهما :

– أووه .. إن صديقى « ألفريد ريتشارد » عنده حق فإنكما سوف تتصرفان بحماقة مخجلة طوال الوقت .

* * *

الفصل الثالث عشر

وهبطت الهليوكوبتر أمام « ستراث هافن » .

وهمست « ليزا » :

– المنزل .

وكرر « مايكل » :

– المنزل .

وقبلها فى حنان على جبهتها .

ثم اتجه للطيار يقول له :

– من الأفضل أن تعيد الطائرة إلى « سيدنى » يا « بول » وآسف على الليلة الطويلة .

– أبداً .. أبداً يا سيد « روبرت » يسعدنى أن أسمع أن ابنك على ما يرام .

وأحاط « مايكل » كتفيها بذراعيه .

وأحسّت بالدفء والأمان .

وتنهدت .

www.elromancia.com

– هل أنت متعب يا سيد « روبرت » ؟

– قليلاً .

– ما رأيك فى السير ليلاً .

– السير ؟ أين ؟

وأشار إلى الاستديو .

– حسناً .

وقال « مايكل » وهما يقتربان من الكوخ الصغير :

– إنك هادئة جداً .. هل أنت واثقة بأنك لست متعبة ؟ يمكننا العودة .

– لا .. لا .. إننى على ما يرام .. فقط أشعر ببعض البرودة .

وفى الحال خلع سترته وأحاطها من كتفيها .

وتطلعت إليه مبتسمة ثم قالت :

– « مايكل » هل لديك سبب خاص لرغبتك فى المجىء هنا ؟

– بطريقة ما .

ووقفا أمام الباب ودفعه .

ونظر إلى وجه « ليزا » الشاحب .

– يا للسماء يا « ليزا » أنت مريضة .

وصرخت :

– إننى .. إننى لا أريد الدخول . واحتواها بين ذراعيه .

– أوه .. « ليزا » يا حبى القديم هل تظنين أنه يمكننى أن أفعل شيئاً يؤذيك ؟

وربت كتفيها .

– لا يوجد أى شيء مزعج بالداخل .. لا شيء إنه مكان خاص جداً . المكان الذى يحتوى على ذكرياتنا الجميلة .

وقالت « ليزا » فى خلال زفراتها :

– ولكننى أعتقد أنك تكرهه .

– أوه .. لا ..لا أكرهه ، ولكن فى ذلك الوقت البعيد . كنت أظن أن هذا المكان يحتوى على ذكريات حبنا التى لن تعود أبداً . ولكنك أثبت أن حبنا ما زال متوهجاً .. لذلك أحب أن أكون داخل هذا المكان الذى يحتفظ بذكرى حبنا القديم والوحيد والأزلى .

تعالى يا « ليزا » يا حبى . أريد أن أريك شيئاً بالداخل .

وسحبها للداخل .

واتجه نحو لوحة مغطاة بالحرير الأبيض ورفع الغطاء وبدت اللوحة تحوى رسوم وجه جميل .. وجهها .

www.elromancia.com

كانت ريشة « مايكل » تحفظ ملامح وجهها بجمال وحلاوة ووضوح .

وقال « مايكل » :

– لقد أتممته بعد رحيلى من الذاكرة .

ولدهشتها وهى تنظر إلى اللوحة بدت ذكريات مؤلمة قاسية .

لقد واجهتها فى خلال اللوحة عينان زرقاوان تحملقان إليها عينان تحويان الحب الأعمى .

إنهما عينا فتاة غرة لا تطرح أسئلة ولا تتوقع إجابات وتعطى دون أى تفكير فى النفس . إنها فتاة لن تعود هكذا أبداً ولو كان «مايكل» ينتظر منها أن تنظر إليه هكذا فسوف ينتظر إلى الأبد .

وصرخت :

– « مايكل » إنها ليست أنا .. وأنا لست هى .. لم أعد هكذا أبداً .

– نعم أنت كذلك .

وأحست بغصة فى حلقها وشعرت بالدوار والألم .

وقد لاحظ ردود فعلها ، لأن سحابة من القلق غطّت محياه .

– ما هذا يا « ليزا » ؟

وازداد قلقه واندفع يهزها بقوة وعنف .

– ما الخطأ يا « ليزا » ؟

– أوه .. يا عزيزتى .. أفهم أننى أفهم أنك قد كبرت ونضجت فعلاً ولكننى أردتك أن تعلمى أننى ما زلت محتفظاً بصورتك .. بحبك .

لا يمكنك أن تتخيلى ما يمكننى أن أقوله . إننى سأحاول أن أستحق حبك هذا وأن أكون جديراً بك وسوف أحبك حتى آخر يوم فى حياتى .

وانهمرت الدموع من مآقيها .

– أوه .. يا « مايكل » .

وقبلها فى حنان .

– لاتبكى لا يمكننى أن أراك باكية .

وحاولت التماسك .

– حتى من الفرحة ؟

– حتى كذلك . من الآن فصاعدا كل ما أريد أن أراه هو السعادة والضحك والحبور .

وانحنى عليها واقترب من شفتيها .

وأحسّت بسعادة عميقة بينما قبلاته تعطيها مذاقاً جديداً . مذاق الحب العميق الخالد .

www.elromancia.com

إنها بداية جديدة .

إنه تقدم للأمام .

لن تكون هناك نظرات مختلسة إلى الماضى .

وابتعد ، مايكل ، عنها فى رقة .. ولمس وجهها بيده فى حنان وتعاطف ، مدركاً لعمق عواطفه وعواطفها .

وتطلعت إليه وجسدها وروحها فى سلام كل السلام .. وبدت عيناه بالضبط مثل عينى تلك الفتاة صاحبة المنظر .

صافية ومغرمة به وبالحب .

وتمتم :

- أنا لن أسأم من حبك أبداً يا حبيبتى ؟

وابتسمت وقالت كلمة واحدة :

- كلمة تحمل الرسالة الخالدة لحبهما الأزلى لبعضهما بعضاً .

- أبداً .

* * *